# رحلتي من أبها الى النماص ، ثم بيشة، فخيبر الجنوب ، ووادي ابن هشبل من الجمعة إلى الاثنين

(١٠-١٣ / ١٢ /١٤٤١هـ الموافق ٣١/ ٧-٣ / ٨ /٢٠٢٠م)[*]

أ.د.غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس (الطبعة الاولى)(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)( الجزء الحادي والعشرون)،ص ص٣٩١-٤٤٣.

## رابعاً: رحلتي من أبها إلى النماص، ثم بيشة، فخيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل،من الجمعة إلى الإثنين (١٠-١٣/ ١٢/ ١٤٤١هـ الموافق٣١/ ٧/ ٢٠٢٠/٨/٣م). بقلم. أ.د. غيثان بن علي بن جريس.


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| أولاً: | مدخل. | ٣٩٢ |
| ثانياً: | الأرض والإنسان. | ٣٩٢ |
| | ١- طبيعة الأرض. | ٣٩٢ |
| | ٢- التركيبة البشرية. | ٣٩٣ |
| ثالثاً: | الحياة الاجتماعية. | ٣٩٤ |
| | ١- القرية والمدينة. | ٣٩٤ |
| | ٢- الفرد، والأسرة، والمجتمع. | ٣٩٩ |
| | ٣- أنواع العمارة. | ٤٠١ |
| | ٤- الطعام واللباس. | ٤٠٩ |
| | ٥- عادات، وتقاليد، وأعراف. | ٤١٣ |
| | ٦- وقفة مع الفنون الشعبية والألعاب الرياضية. | ٤١٦ |
| | ٧- حياة الناس مع مرض كورونا عام (١٤٤١هـ). | ٤١٨ |
| رابعاً: | الحياة الاقتصادية. | ٤٢٢ |
| | ١- الجمع والالتقاط، والصيد، والرعي. | ٤٢٢ |
| | ٢- الزراعة. | ٤٢٣ |
| | ٣- الحرف والصناعات. | ٤٢٧ |
| | ٤- التجارة. | ٤٢٩ |
| خامساً: | الحياة التعليمية، والثقافية، والفكرية. | ٤٣٥ |
| سادساً: | وقفة مع السياحة. | ٤٣٩ |
| | ١- تنوع البيئات السياحية. | ٤٣٩ |
| | ٢- وضع السياحة عام (١٤٤١هـ) | ٤٣٩ |
| | ٣- المطلوب من الفرد، والمجتمع، والدولة تجاه السياحة. | ٤٤٠ |
| سابعاً: | الخاتمة : آراء وتوصيات. | ٤٤١ |

## أولاً: مدخل:

خرجت من مدينة أبها في ظهر يوم عيد الأضحى (١٤٤١هـ)، (٣١/يوليو/٢٠٢٠م) متجهاً شمالاً إلى سروات بللحمر، ثم بللسمر، ثم بني شهر، وعند وصولي إلى الحد الفاصل بين قرى حلباء والسرو في محافظة النماص، وجدت طريقاً مسفلتاً ينحدر شرقاً تجاه وادي ترج فسلكته إلى القوباء، ثم البهيم، ثم مهر حتى وصلت بيشة، ثم عدت إلى خميس مشيط عبر مركزي صمخ، ثم خيبر الجنوب، فوادي بن هشبل. استغرقت هذه الرحلة أربعة أيام، يوماً ونصف في البلاد الممتدة من أبها إلى وادي ترج، ويوماً ونصف في أجزاء من حاضرة بيشة، واليوم الأخير من بيشة إلى صمخ، ثم خيبر الجنوب، فوادي ابن هشبل، ثم أبها[١].

## ثانيا: الأرض والإنسان:

### ١. طبيعة الأرض:

هذه البلاد التي اجتزتها جزء من السروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز، فأعلاها الجبال المتقاودة من أبها إلى حاضرة النماص، ثم تتدرج مرتفعاتها في النزول كلما اتجهنا شرقاً نحو بيشة وبلاد شهران مثل: صمخ، وخيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل، وخميس مشيط[٢]. والمرتفعات من أبها إلى النماص متقاربة في أطوالها، وأشكالها، وحزونها، وثروتها النباتية والحيوانية، ومناخها معتدل في الصيف، وبارد في الشتاء، والأمطار تسقط عليها بكثرة طوال العام وبخاصة في فصلي الخريف والصيف، ويغطيها الضباب في بعض أيام السنة[٣].

أما منحدرات فروع وادي ترج العلوية من سروات بللحمر إلى محافظة بلقرن فهي نفس تضاريس ومناخ السروات الممتدة من أبها إلى النماص وبلدة العلاية في بلقرن وغيرها من البلاد السروية الممتدة إلى الطائف[٤]. وكلما اتجهنا شرقاً حتى بيشة نجد الجبال والهضاب يقل ارتفاعها، والمناخ يتدرج نحو الحرارة في الصيف، والاعتدال في الشتاء وأحياناً يشوبه شيء من البرودة. والنباتات البرية في السروات. مشابه لبعض

---

(١) كل هذه البلدان المذكورة ضمن منطقة عسير تقع ضمن حاضرة أبها، ومحافظات تنومة، والنماص، وبيشة، وخميس مشيط. وجميعها مناطق مهمة ولها تاريخ حضاري عريق وقديم ومتنوع.

(٢) هذه البلاد التي قضيت فيها رحلتي العلمية منذ خروجي من أبها حتى رجوعي إليها، الجمعة إلى الإثنين (١٠-١٣/١٢/ ١٤٤١هـ).

(٣) مشاهدة الباحث لهذه البلاد منذ ولادته حتى الآن (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م). وهناك دراسات جغرافية عديدة عن هذه البلاد بعضها مطبوعة ومنشورة، وأخرى مازالت بحوث ورسائل علمية غير منشورة.

(٤) مناخ وتضاريس السروات الممتدة من حاضرة أبها إلى الطائف متشابه في جبالها وأوديتها وحزونها وغطائها النباتي ومناخها. المصدر: مشاهدة الباحث ومعاصرته لهذه البلاد منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

أشجار ونباتات شرق السروات حتى بلاد بيشة وخميس مشيط، إلا أن النخيل يزرع بكثرة في محافظة بيشة، وأيضاً الحيوانات البرية والأليفة هي نفسها في عموم البلاد الممتدة من أبها إلى النماص فبيشة وخميس مشيط. إلا أن الإبل والخيول تعيش بكثرة في محافظات خميس مشيط، وبيشة وما جاورها. والقرود لا توجد في مدينة بيشة مقارنة بسروات أبها، وتنومة، والنماص، وأعالي وادي ترج[١].

## ٢. التركيبة البشرية:

كل الأوطان المذكورة في هذه الرحلة مستوطنة بقبائل عربية سكنتها منذ عصور قديمة قبل الإسلام، ومازالت تعيش فيها حتى اليوم. فمن أبها إلى سروات بللحمر الجنوبية تسكنها بعض قبائل عسير الرئيسية وبخاصة قبائل مغيد، وعلكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة. ثم قبائل رجال الحجر (بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) من بلدة مسفرة بللحمر إلى بلاد عمرو الشام المحاذية لقبيلة بلقرن من الجنوب. ووادي ترج ومعظم سكانه من قبائل بلحارث، وبني عمرو، وبني شهر، وبلقرن، وبعضاً من قبائل شهران. ثم محافظتي، أو حاضرتي بيشة وخميس مشيط يستوطنهما شهران وقبائل أخرى عديدة من أصول قحطانية وعدنانية[٢].

يعيش في هذه البلاد حالياً أيضاً أجناس عربية من بعض قبائل وعشائر المملكة العربية السعودية جاءوا إليها خلال المئة عام الماضية إما للعمل وكسب الرزق، أو المصاهرة، أو للاستقرار والاستثمار، ومنهم من جاءوا إليها ثم عادوا إلى أوطانهم الرئيسية إلا أنه مازال لهم صلات بها، وربما لهم أولاد وأسر فيها. والناظر في المدن الكبيرة في هذه البلاد مثل: أبها، وتنومة، والنماص، وبيشة، ووادي بن هشبل، وخميس مشيط وغيرها يجد أنه يعيش فيها عناصر سعودية كثيرة جاءت إليها للعمل أو الدراسة وبخاصة بعد تطورها في مجالات تنموية ووظيفية وتعليمية متنوعة[٣].

---

(١) عموم البلاد المعنية في هذه الرحلة غنية بغطائها النباتي، وتنوع تضاريسها، واختلاف مناخها بين أعالي السروات، وسفوحها وسهولها الشرقية. كما لا تخلو من ثروات حيوانية ونباتية جيدة، ومعظم مياهها من الآبار الجوفية، ومجاري الأودية والعيون والجداول. وليس هناك وجه مقارنة لوضعها الجغرافي الحالي عما كانت عليه في السابق. فاليوم أصاب البلاد الكثير من الجفاف، وتدهور الغطاء النباتي، وانقراض الكثير من الحيوانات، والطيور، والزواحف، واعتدى الإنسان على كثير من محتوياتها الجغرافية نتيجة التمدد العمراني الذي شمل تشييد أنواع كثيرة من العمارة، وشق الطرق، وتحويل مواطن عديدة إلى مخططات عمرانية وتنموية وسياحة.

(٢) لم أفصل الحديث عن هذه القبائل العربية الرئيسية من أبها إلى تنومة والنماص ثم بيشة فخيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل. فهناك بعض الدراسات المنشورة عنها، كما أنها تستحق أن تدرس وتوثق في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

(٣) دراسة مجتمع منطقة عسير من (١٣٠٠-١٤٤٢هـ/١٨٨٢-٢٠٢٠م) وما جرى عليه من تحولات اجتماعية واقتصادية وتنموية جدير بالدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية التوثيقية الرصينة.

ويخالط السكان الأصليين في هذه البلاد أجناس عربية وإسلامية وغير إسلامية جاءوا للعمل في قطاعات اجتماعية، واقتصادية، وتعليمية، وتنموية عديدة. واليمنيون، والمصريون، والسودانيون، والفلسطينيون، والأردنيون، والسوريون من أكثر العناصر العربية العاملة في هذه الأوطان. أما العناصر الإسلامية وغير الإسلامية من دول أجنبية فالأكثرية من الهند، والباكستان، وبنجلاديش، وبلاد عديدة في إفريقيا، وبعض الغربيين، والصينيين، والفلبينيين. وأكثرية هذه الأجناس من الذكور، ومنهم عناصر نسائية لكنها قليلة وغالباً يعملن في الخدمات المنزلية، والمجالات الصحية والتعليم العالي، وربما التعليم العام الأهلي[١].

والمتجول في هذه المجتمعات العسيرية المذكورة في هذه الرحلة يجد أن القبائل والعشائر الساكنة فيها تكثر النقاش في موضوع الأنساب، بل إن بعضها تبالغ في الحديث عن أصلها وصور من تاريخ الآباء والأجداد. وربما دخل البعض منها في صراعات وشد وجذب حول النسب والتعصب القبلي. ومن يسمع ويجلس في المجالس الاجتماعية المختلفة، أو يزور بعض دوائر القضاء والمؤسسات الإدارية والأمنية فإنه يسمع روايات وأخبار كثيرة في هذا الجانب. وإن بحث عن سجلات أو مدونات أو وثائق فسوف يجد الكثير منها، وهي مليئة بالموروث القبلي الذي يقوم أحياناً على التعصب والحديث عن القبيلة والعشيرة والنسب وغيره[٢].

## ثالثاً: الحياة الاجتماعية:

### ١. القرية والمدينة:

الغالب على جميع البلاد التي شاهدتها التركيبة القبلية، وكل قبيلة أو ناحية تتكون من قرى تتفاوت في الكبر والصغر حسب موقعها، ومكانة أهلها الاجتماعية، وأحوالهم الاقتصادية[٣]. وبعض القرى الكبيرة والصغيرة قريبة من الخط الرئيسي السروي

---

(١) إن الدارس للمجتمع السروي والتهامي منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م) يجده جرى عليه الكثير من النمو والتحولات الكثيرة، وحسب علمي فهذا الموضوع لم يدرس حتى الآن، أمل من الجامعات المحلية أن تدعم وتشجع دراسة مثل هذه الميادين العلمية المهمة.

(٢) هذا الأمر أعرفه وأشاهده منذ (٤٠) عاماً وأنا أتجول في عموم بلاد المملكة العربية السعودية وبخاصة جنوبها من مكة والطائف إلى نجران وجازان. بل أواجه الكثير من الأسئلة والاستفسارات من أفراد، وأسر، وعشائر تبذل قصارى جهودها لمعرفة أنسابها وأصولها وشيء من أمجاد آبائها وأجدادها.

(٣) القرية اليوم تختلف عن القرية قديماً في موقعها، وتخطيطها، وطبيعة أهلها. ففي السابق كل قرية في العشيرة أو القبيلة تلتف حول بعضها، وتبني مساكنها بشكل متواضع ومتقارب ومتلاصق، وكل قرية محدودة في مواد بنائها ومرافقها، بخلاف القرية اليوم التي أصبحت أفضل في العمارة والتخطيط والتوسع في المكان، والاختلاط بالغير من القرى والبلدات المجاورة. ناهيك عن الإمكانات البسيطة قديماً، والجيدة والمتوفرة حالياً.

الـذي يخرج من أبهـا إلى النماص فالباحة والطائف، وقـرى أخرى تقع إلى الداخل في بلاد القبائل والعشائر التي يجتاز الطريق أرضها.

كانت القبيلة قديماً هي صاحبة الحل والعقد في قراها وبلادها. وعند قيام المملكة العربية السـعودية أنشـئت المؤسسـات الإداريـة التي تقوم على حفـظ الأمن في البلاد، والقيـام على خدمة الناس في جميع أمورهم. وبقي الشـيوخ والنواب على مكانتهم لبنة تساعد الدولة في نشر الأمن والعدل والتنمية في البلاد. وصار السكان في القرى والقبائل يعملون على تطوير أنفسهم وظيفياً وتعليمياً، وتنموياً، وانعكس ذلك على حياتهم الخاصة فطوروا عماراتهم وتمدنهم في قراهم، وسـاعدتهم الدولة في توفير الوظائف والمكاسب المادية الجيدة، ودعمتهم بالخدمات والقروض في بناء مسـاكن حديثة، وخدمات أخرى عديدة [١].

مـن جهود الدولة الإيجابية في خدمة القبائل والقرى والمدن أن أنشـئت مؤسسـات إدارية يطلق عليها قديماً إمارة، وفي العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) تحول اسمها إلى محافظة. وأبها، في العصر الحديث والمعاصر، هي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير، ومنهـا يرسـل الأمراء (المحافظـون) حالياً إلى مقـرات عملهـم [٢]. والناظر في تاريخ هذه البلاد المعنية في هذه الورقات يجد أن النماص، وبيشـة، وخميس مشـيط كانت هي الإمارات (المحافظات) الرئيسية منذ قيام الدولة السعودية الحالية [٣].

والحديـث عن القرى والمدن في هذه المحافظات وما حولهـا حالياً يحتاج إلى مئات الصفحات، آمل أن نرى باحثين جادين يتولونها بالبحث والتوثيق والتحليل، ولن أخوض كثيراً في وضـع القرى في هذه البلاد[٤]، وإنما أشـير إلى المدن أو المراكز الرئيسـية من أبها إلى النماص، ثم بيشة، فخيبر الجنوب، ووادي بن هشبل، وهي على النحو الآتي:

## أ. مركز صبح بللحمر:

صـبح قرية كبيرة في سـروات بللحمر، تقع على الطريق الرئيسـي الذي يربط أبها بالنماص، وتبعـد عن مدينة أبها حـوالي (٦٠) كيلاً. يوجد فيها مركز إداري يشـرف

---

(١) تاريخ التمدن والتنمية الطبيعية والبشرية في منطقة عسير خلال السبعين عاماً الماضية (١٣٧٠-١٤٤٢هـ / ١٩٥٠-٢٠٢٠م) موضوع مهم يستحق أن يدرس ويوثق في كتب ورسائل علمية عديدة.

(٢) للمزيد عن تاريخ مدينة أبها. انظر غيثان بن جريس أبها حاضـرة عسـير (دراسـة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق،١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

(٣) مدن النماص، وبيشـة، وخميس مشيط مدن حضارية بعضها مذكور من قبل الإسلام، تستحق أن يفرد لكل واحدة منها دراسة تفصيلية توثق تاريخها عبر العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة.

(٤) يوجد في هذه البلاد مئات القرى القديمة والحديثة، وبعضـها يعود تاريخها إلى آلاف السـنين، وفيها قرى حديثة رئيسـية قامت قريباً من القرى القديمة. وتاريخ القرى في السـروات موضوع مهم يستحق أن يدرس من قبل أسـاتذة الآثار، والتاريخ، وعلم الاجتماع، والجغرافيا. آمل من جامعات الطائف، والباحة، وبيشـة، والملك خالد أن تدعم وتشجع من يعمل على هذه الموضوعات فتدرس في بحوث علمية رصينة.

عليه رئيس معين من إمارة منطقة عسير، وهناك عدد من المؤسسات الإدارية، مثل : الدفاع المدني، والشرطة، ومؤسسات إدارية أمنية وخدماتية أخرى، وجميع مراحل التعليم العام للبنين والبنات، ومازالت بحاجة إلى تنمية وتطوير أفضل[١].

## ب- مركز بللسمر :

مقر هذا المركز في بلدة اثنين بللسمر، وهو في مستوى مركز صبح، لكن وضعه التنموي أحسن قليلاً، من حيث كثرة المؤسسات الإدارية، ففيه مستشفى سعة (١٠٠) سرير، ناهيك عن الخدمات الأمنية والتعليمية والخدماتية الأخرى. واثنين بللسمر موطن بشري مكتظ بالسكان، يقع على الطريق الرئيسي أو قريب منه قرى كثيرة أسمرية، كما يستوطنون أجزاء واسعة من تهامة وبخاصة في جبلي هادا وضرم وما حولهما [٢]، ولهم أيضاً بوادٍ مليئة بالقرى الحديثة[٣].

## ج- تنومة :

كانت تنومة إمارة ثم مركز إلى عهد قريب، وفي الثلاثينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) تحولت إلى محافظة فئة (ب). وهي مخدومة بالعديد من المؤسساتٍ الحكومية، مثل : المحكمة، والشرطة، والبلدية، والدفاع المدني، ومستشفى سعة (٥٠) سريراً، والسجن، وكلية تقنية، وغيرها. وفيها عدد كبير من المثقفين والمتعلمين الذين يعملون بجد واجتهاد في خدمة بلادهم وأهلهم. وفيها كلية العلوم والآداب التابعة لجامعة الملك خالد، وتخدم الجنسين (الطالبات والطلاب) في بعض التخصصات العلمية والأدبية. وتمتاز تنومة وبللسمر بمواقع سياحية ممتازة، تحتاج إلى دعم وتطوير يقوم على أسس علمية مدروسة [٤].

## د- النماص :

كانت بلدة النماص حاضرة بلاد بني عمرو وبني شهر في السراة، وتهامة، والباديةٍ، وربما امتد نفوذها في قرون ماضية إلى سروات بلقرن وشمران وما والاها شمالاً، وإلى بللحمر وبللسمر تهامة وسراة. واليوم هي محافظة فئة (أ)، وفيها معظم

---

(١) معظم سكان قبيلة بللحمر يستوطنون شرق البلاد، وقراهم في صبح وما جاورها قليلة، وهم قليلون في تهامة. وبلاد بللحمر بشكل عام في السراة والبادية وتهامة تستحق أن تدرس في كتاب علمي توثيقي، آمل أن نرى أحداً من بناتها أو أبنائها الباحثين الجادين فيخدمون بلادهم بعمل علمي توثيق.

(٢) للمزيد عن تهامة بللسمر انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب : موسوعة تاريخية حضارية ( من قبل الإسلام - ق١٥هـ/ق١- ق٢١م)، ج١٨، ص ٥٠٨- ٥١١، ٥١٥ وما بعدها.

(٣) يوجد في شرق بللحمر وبللسمر قرى قديمة وحديثة وجميعها تستحق أن تدرس في عدد من البحوث، أرجو من المؤرخين والآثاريين أن يلتفتوا إلى دراسة هذه الأوطان.

(٤) بلاد تنومة مؤهلة أن تكون من الواجهات السياحية العالمية لكثافة غطائها النباتي، وتنوع موروثها الطبيعي والحضاري.

المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية، وعدد من كليات التعليم العالي التابعة لجامعة بيشة. وهي في وضع تنموي أحسن من محافظة تنومة ومركزي بللحمر وبللسمر، ويتبعها عدد من المراكز الإدارية، مثل: مركز بني عمرو، ومركز السرح، ومركز وادي زيد. وهذه المراكز تقع في بلدات كبيرة على الطريق الرئيسي، وفيها بعض الخدمات الحكومية والأهلية[١].

## هـ. محافظة بيشة ومراكزها:

بيشة مدينة تاريخية حضارية قديمة، لها ذكر في الكتب اللاتينية والسريانية، ومذكورة في كثير من كتب التراث الإسلامي، جرى على أرضها أحداث كثيرة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة[٢]. وهي اليوم (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) مدينة عصرية فيها معظم المؤسسات الحكومية والأهلية، وفيها جامعة حكومية تشرف على أكثر من (١٦) كلية علمية وأدبية، ولها مطار مدني يتصل بالمطارات الكبيرة والرئيسية في المملكة العربية السعودية، وفيها سد مائي من أكبر سدود المملكة، وهي من أكبر الواحات الزراعية وبخاصة زراعة النخيل. تحتاج إلى من يدرس تاريخها ونموها الحضاري وآثارها وتراثها في كتب وبحوث عديدة، أرجو من جامعة بيشة أن تنشئ مركز بحوث يهتم بموروث محافظة بيشة المادي والمعنوي[٣].

لم أقض وقتاً كبيراً في مدينة بيشة، لكنني زرت بعض مراكزها، وبخاصة المراكز الواقعة في وادي ترج[٤]، وقد حصلت على بعض الوثائق التي أشارت إلى أسماء وسنوات تأسيس جميع مراكزها، وهي على النحو الآتي:

**(١) مركز صمخ:** يقع على طريقٍ بيشة خميس مشيط، تأسس عام (١٣٧٣هـ)، يبعد عن مدينة بيشة بحوالي (٥٠) كيلا، يوجد فيه بعض المؤسسات الحكومية والتنموية،

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن محافظة النماص انظر غيثان بن جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الرياض: مطابع الحميضي ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (الطبعة الرابعة) (٥٧٣صفحة) للمؤلف نفسه. دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م) (الجزءان الأول والثاني) ص ٩٩-١٧٨.

(٢) انظر بعض الدراسات عن بلاد بيشة خلال العصور الإسلامية المختلفة، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) (الطبعة الأولى)، ج١٧، ص ١٤-٩١. انظر أيضاً نفس الصفحات الطبعة الثانية (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م). وانظر بحوثاً أخرى في موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) الجزءان(١٩، ٢٠).

(٣) أدون هذا النداء بعد زيارتي لحاضرة بيشة في يومي الأربعاء والخميس (٢٤-١٤٤٠/٥/٢٥هـ الموافق ٣٠-٢٠١٩/١/٣١م). ثم تجوالي في بعض ربوعها في هذه الرحلة المدونة في هذه الورقات خلال عيد الأضحى المبارك (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٤) سوف أسهب قليلاً في الحديث عن بعضها.

مازال متواضعاً في التنمية، وربما يتطور إذا اكتمل الطريق المزدوج بين الخميس وبيشة، ويسكنه عشائر من شهران[١].

**(٢) مركز الحازمي:** يقع في أسـفل وادي ترج، تأسس عام (١٣٧٦هـ)، وفيه طرق مسـفلتة جيدة وواسعة، وبعض المؤسسات الإدارية والأهلية، ومازال يحتاج إلى جهود في التنمية والتطوير.

**(٣) مراكز وادي ترج :** مركز البهيم، ويعرف أيضـاً بمركز وادي ترج تأسس عام (١٤٠٠هـ). ومركز القوباء عام (١٤١٦هـ). ومركز الصـور عـام (١٤٢٧هـ). ومركز مهـر عام (١٤٢٨هـ). هذه المراكز الثلاثة بالإضـافة إلى مركـز الحازمي تقع في وادي ترج، أولها في المرتفعات بالقوباء، وآخرها الحازمي، ومعظم سكانها من قبائل بلحارث، وبني عمرو، وبني شـهر، وشـهران وغيرها. ويتبع هذه المراكز عشـرات القرى والهجر المتفاوتة في الكبر والصغر. وجميعها متقاربة في الخدمات، إلا أن مراكز ترج ( البهيم ) ومهر، وربما الحازمي أفضـل من مركزي القوباء وصور. وعموم المراكز الأربعة مازالت بحاجـة إلى تنميـة وتطوير في شـتى الميادين وبخاصـة الطـرق والخدمات الصـحية، والتعليم الجامعي[٢].

**(٤) من مراكز بيشة الأخرى:** مركز النقيع تأسس عام (١٤٠٠هـ). ومركز تبالة عـام (١٤٠٢هـ). ومركز الجعبة (١٤٠٣هـ). ومركز الجنينة (١٤١١هـ). ومركز الثنية (١٤١٥هـ). ومركز العبـلاء (١٤١٨هـ). ومركز الدحو(١٤٢٠هـ). ومركز سـد الملك فهد (١٤٢٨هـ). ومركز الرس (١٤٣٠هـ). ومركز العطف (١٤٣١هـ). كل هذه المراكز لم أزرهـا أو أشـاهدها في رحلتـي (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، وأخبرني بعض أهل بيشـة أنها في مسـتوى المراكز السـابق ذكرها، وربما مراكز تبالة، والجعبـة، والنقيع، والثنية تعد أفضـل من غيرها في باب التطوير والتنمية، وهي جميعها ينقصها الكثير من الخدمات التنمويـة، والطـرق، والكليـات الجامعية، والخدمات الصـحية، والاتصـالات تأتي في مقدمة الأولويات. وهذه المراكز مكتظة بالقرى والهجر المليئة بالسكان[٣].

---

(١) الطريق التي تربط أبها وخميس مشيط ببيشة مازال العمل فيها جارياً، وعندما يتوسع ويصبح مزدوجاً فقد تنمو البلاد الممتدة من بيشة إلى الخميس ولها ذكر في بعض كتب التراث القديمة والوثائق الحديثة.

(٢) تنمية هذا الوادي تساعد السكان على البقاء في بلادهم، وممارسة الزراعة والرعي بشكل جيد لوفرة المياه والغطاء النباتي.

(٣) آمـل أن يأتي اليوم الذي أزور فيه جميع مراكز بيشـة، حتـى أقف على بعض تاريخها المادي من نقوش وآثار سطحية ومدفونة، كما آمل من جامعة بيشة أن تضاعف الجهود لدراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد العريقة في تاريخها وموروثها الحضاري.

## و- مركزا خيبر الجنوب، ووادي بن هشبل :

مركزا خيبر الجنوب، ووادي بن هشبل من مراكز محافظة خميس مشيط، يبعد الأول عن خمس مشيط (٨٠كم)، والثاني (٣٦كم) [١]. ويسكن خيبر قبيلة بني واهب من شهران، وقبيلة بني بجاد في وادي بن هشبل[٢]. وكلاهما يقعان على الطريق الرابط بين بيشة وخميس مشيط. وتنمية وادي ابن هشبل أفضل من خيبر من حيث الطرق، والخدمات، والمتنزهات. وفي المركزين العديد من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية.

ويتبع المركزين الكثير من القرى والهجر المتفاوتة في عدد السكان، ومساحة الأرض، والتنمية والخدمات. لكن القرى القريبة من مركز وادي ابن هشبل أفضل حالاً في مستوى عمرانها وخدماتها من مركز خيبر الجنوب ومازالت قرى وهجر المركزين بحاجة إلى خدمات تطويره أكثر وأحسن وبخاصة الطرق، والكليات الجامعية، والاتصالات، والصحة، والمناشط الثقافية[٣].

ولا أدعي في هذه الخلاصة المدونة عن المدن، أو المراكز أو حتى القرى الكمال، إنما هي إشارات تفيد الباحثين وطالبات وطلاب الدراسات العليا الذين يدرسون تركيبة هذه البلاد بشرياً وديموغرافياً. وأؤكد على أن مدن، وحواضر، وقرى منطقة عسير ميدان خصب للبحث والتوثيق، ولا نقصر عملنا على دراسة العصر الحديث لكن يجب دراسة القديم تاريخياً وأثرياً وحضارياً ثم نقارنها مع الحواضر والمدن الحديثة في السراة وتهامة، وهناك فروق واختلافات كبيرة بين الماضي والحاضر، وإن فعلنا ذلك فقد ربطنا القديم بالجديد، وحفظنا جزء من تراث الآباء والأجداد ونقلناه إلى الأبناء والأحفاد[٤].

## ٢- الفرد، والأسرة، والمجتمع :

كل البلاد التي مررت عليها تتكون من أفراد (نساء ورجال)، والأفراد كونوا أسراً، ثم قرى فعشائر ثم قبائل. وهذه المكونات خلقت النسيج العام للمجتمع منذ عصور بعيدة حتى اليوم. وهناك أفراد وربما أسر من أجناس مختلفة في النسب، وفي مواطن

---

(١) تبعد خيبر الجنوب عن بيشة (١٥٠) كيلاً، ووادي ابن هشبل عن بيشة (١٩٠) كيلاً.

(٢) يخالط هذه القبائل بعض الأسر والأفراد الذين ينتمون إلى قبائل عربية أخرى داخل المملكة العربية السعودية، وبعضهم امتلكوا الدور والعقار، وهم في وادي ابن هشبل أكثر من خيبر الجنوب.

(٣) أقول إن محافظة خميس مشيط من المحافظات المكتظة بالسكان، ومدينة الخميس من أنشط مدن المملكة التجارية. وأرض المحافظة تشغل بلداناً مهمة ورئيسية في أرض شهران. وقبيلة شهران ومحافظة الخميس تستحقان أن تدرسا تاريخياً، وأثرياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً وتعليمياً خلال القرون الثلاثة الماضية (ق١١-ق١٤هـ/ق١٨-ق٢٠م). للمزيد عن مركزي خيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل، انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق١-ق١٥هـ/ق٧-ق٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (الطبعة الأولى) (الجزء الحادي عشر)، ص ٢٨٩- ٣٠٢.

(٤) إن ما أحث عليه وأنادي لدراسته وحفظه يعد صفحات حضارية مشرفة من تراث السرويين الذين عاشوا في هذه البلاد منذ عصور ما قبل الإسلام، ومازالوا يتوارثون حماية بلادهم ورعايتها عبر أطوار التاريخ.

النشأة، واللون، واللغة، والأعراق والثقافات. وجميع هذه العناصر البشرية، أهل البلاد الأصليين أو من خالطهم وشاركهم العيش في بلادهم يعيشون تحت منظومة الدولة التي تتولى ضبط الحياة والتعايش وفق أنظمة وقوانين تفرضها الحكومة، ومعظمها وفق مبادئ الشريعة الإسلامية[١].

والعلاقة بين الأفراد والأسرة والمجتمع اليوم تختلف عما كانت عليه الحياة في السابق. فالتقارب والترابط الشديد كان الإطار الرئيسي بين هذه الشرائح الثلاث. وعامل الخوف وفقدان الأمن، والحاجة الاجتماعية والاقتصادية من العوامل الرئيسية إلى التقارب والتكاتف بين شرائح المجتمع. وبعد أن فاض الخير في البلاد، وتطورت حياة الناس المالية والاقتصادية بدأ الفرد أو الأفراد يستقلون بأنفسهم، والوضع نفسه جرى على الأسر، وسكان القرية أو العشيرة، أو القبيلة. ولا أنفي وجود بعض التلاحم والتقارب في الوقت الحاضر بين أفراد الأسر أو المجتمع الواحد، لكنها قلت كثيراً عن الماضي، وأصبح أفراد الأسرة يعيشون في استقلالية عن آبائهم وإخوانهم وأخواتهم. ومما زاد التباعد بين أفراد الأسر أو القرية ظروف الوظيفة، والتعليم العالي، والسعي في كسب الرزق، فلم يعد يعيشون في بيت أو مكان واحد وإنما تفرقوا في قراهم ومدنهم الرئيسية، أو في مدن وقرى وأماكن أخرى عديدة في أنحاء المملكة العربية السعودية من أجل الدراسة أو العمل [٢].

مازال كبير الأسرة، أو الأسر، وأحياناً أحد أفرادها من المحتسبين يجمع أفراد أسرته وجيرانه في القرية أو الحي في الليلة الأولى أو الثانية وأحيانا الثالثة من أيام العيد، وهناك من يجمعهم في الإفطار بعد صلاة العيد، وربما شيوخ القبائل أو نواب

---

(١) جهود الدولة السعودية الحديثة في نشر الأمن والتمدن الحضاري بين جميع سكان البلاد، وما نتج عن ذلك من آثار إيجابية على الفرد، والأسرة، وسكان القرى والقبائل من الموضوعات الجديدة المهمة للنقاش والدراسة. وهناك الكثير من القرارات والسجلات والوثائق الرسمية التي رصدت هذه التحولات الحضارية، والواجب على مراكز البحوث العلمية، والباحثات والباحثين في الأقسام والكلية الأكاديمية أن يدرسوا هذا التاريخ التنموي الحضاري، ومن يفعل ذلك فسوف يخدمنا معاشر الدارسين ويطلعنا على صفحات مشرقة من حياة البلاد والناس خلال القرون الماضية المتأخرة.

(٢) عندما خرجت من أبها إلى النماص ثم بيشة كانت أيام عيد الأضحى الثلاثة (١٠-١٢/١٢/١٤٤١هـ)، وزرت عددا من الأسر والأصدقاء والأعيان والمثقفين في اثنين بلسمر، وتنومة، ومدينة النماص، وقرى في سروات بني عمرو، والقوباء والبهيم، ومهر في وادي ترج، وقرية الباطن في مركز الثنية في بيشة. فلم أشاهد تجمعات وزيارات متبادلة بين الناس كما كانت الحياة في السابق، ولم أر ألعابا شعبية وأهازيج وتبادل هدايا وفرحا ومرحا بمناسبة العيد. وإنما شاهدت بعض القرى والمنازل مغلقة أبوابها، وإذا زرت بعضهم في النصف الأول من النهار تجد معظمهم مازالوا نائمين، وأحيانا تطرق الأبواب فلا يستجيب لك أحد، وقد يرد بعض الأطفال أو النساء فيقولون مازال نائماً أو نائمين لمن أتيت لزيارتهم أو السلام عليهم، وفي الليل يجتمع بعض أفراد الأسر في منزل أحدهم، وأحيانا يجتمعون في استراحة مع أسرهم، ولاحظت في وادي ترج وبعض أجزاء بيشة الاجتماع في الخلاء، في الهواء الطلق، وقد ينصبون مخيما للنساء والأطفال.

القرى يسعون إلى جمع أفرادٍ قريتهم أو قبيلتهم في إحدى ليالي العيد، وتكون تكاليف العشاء على الجميع، وأحياناً يقوم بها شخص أو شخصان وربما أكثر خدمة وإكراماً لأبناء عشيرتهم أو قريتهم. ومثل هذه التجمعات تقام في صالة خاصة للقبيلة أو القرية، أو في استراحة مستأجرة[١].

وهناك أفراد وأسر تترك منازلها أيام العيد والإجازات وتسافر إلى مدن ومناطق أخرى، ومنهم من يستأجر في فنادق أو شاليهات أو شققاً مفروشة. وآخرون يسكنون عند أولادهم أو بعض أقاربهم. وكون رحلتي في فصل الصيف وبلاد الجنوب السعودي وبخاصة سروات أبها ورجال الحجر من المصايف الجميلة والمرتادة فقد شاهدت الكثير من السياح والمصطافين المقيمين في المجمعات السياحية والشقق المفروشة في بللسمر، وتنومة، والنماص، وأجزاء من سروات بني شهر وبني عمرو، ومعظم أوقاتهم في النهار والساعات الأولى من الليل يقضونها في المتنزهات الطبيعية والحدائق ومدن الألعاب. وشاهدت الوضع نفسه في بعض حدائق ومتنزهات بيشة وبخاصة في الساعات الأولى من الليل [٢].

## ٣. أنواع العمارة :

### أ. العمارة القديمة :

منذ خرجت من أبها حتى رجعت إليها شاهدت ووقفت على أنواع عديدة من العمارة قديماً، وأكثرها وضوحاً للعيان القرى القديمة فهي منتشرة في السروات الممتدة من أبها إلى النماص، ومواد بنائها الحجارة والطين، وتتفاوت في المساحات وعدد المنازل والطوابق في القرية الواحدة، وبعض القرى تحتوي على قصور كبيرة، لها مرافق عديدة، تتكون من عدة أدوار، والغالب على القرية سابقاً محدودية مساحة المنزل، وتداخل المنازل، وضيق الطرق التي تربط بينها. وعلى مقربة من بعض القرى وأحياناً في محيطها يظهر حصون متفاوتة في الارتفاع، وغالباً تستخدم لحراسة القرية ومزارعها، ومعظم

---

(١) هذا ما شاهدته في سروات رجال الحجر أثناء رحلتي الحالية، وسبق أن عرفتها وعاصرتها في أعياد سابقة عند بعض قبائل وقرى مناطق نجران، وعسير، والباحة، أو الطائف. وهذه ظاهرة تكاد تكون في عموم المملكة العربية السعودية خلال العقدين الماضيين (١٤٢٠-١٤٤١هـ/٢٠٠٠-٢٠٢٠م) بعد أن تحسنت أوضاع الناس الاقتصادية، وربما كانت موجودة في المدن الكبرى قبل هذا التاريخ.

(٢) إن الأمن والأمان، وسعة الرزق جعلت الأفراد (رجال ونساء) والأسر يبحثون عن المتعة والترفيه. وبلاد تهامة والسراة وبخاصة منطقة عسير من أفضل مناطق المملكة العربية السعودية التي يرتادها السياح من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وفي هذا العام (١٤٤٠-١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) زادت أعداد الأفراد والأسر التي وفدت على السروات من الطائف إلى أبها، وكان لمرض كورونا (Covid-19) الذي ساد العالم، وفتك بمئات الآلاف دور كبير في دفع الكثير من سكان المملكة للسياحة في جنوب المملكة، وكان السفر إلى الخارج مغلقاً، ومعظم مناطق المملكة حارة في الصيف، والجمال الطبيعي واعتدال المناخ لا يوجد إلا في السروات لهذا وفد إليها من شهر شعبان إلى ذي الحجة عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) الكثير من الزوار والمصطافين ومعظمهم من داخل المملكة، وبعضهم من دول الخليج العربي.

تلك الحصـون ملكيتها مشـاعة بين أفراد القرية الواحدة، ويسـتخدمون بعضـها لخزن محاصيلهم الزراعية من حبوب الحنطة، والذرة، والشعير وغيرها [١].

أمـا القـرى في وادي ترج من أعالي السـروات إلى حاضـرة بيشـة، فهـي في الغالب مسـتوطنات بدوية وعماد منازلهم بيوت الشـعر، ومنذ تسـعينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) سـعت الدولـة إلى توطينهـم، وإنشـاء مراكز حضـارية في بلادهم، وقام بعضـهم ببناء بيوتهم من الأحجار والطين، ومازالت بعض قراهم القديمة، قريبة العهد، ماثلة للعيان في بلاد القوباء، والبهيم، ومهر، والحازمي[٢]. أما حاضـرة بيشـة والبلاد الممتدة إلى خيبر الجنوب، ووادي ابن هشـبل فقراها القديمة كثيرة، ويعود تاريخ بعضـها إلى عدة قرون، وفيها قرى تعود إلى القرن (١٤هـ/٢٠م). ومواد بنائها من الحجر والطين، وهناك منازل وقصور وحصون مبنية من الطين، وأحياناً تكون أساسات بعضها من الحجارة والطين[٣].

ومـن الأبنية القديمـة الطرقات التي تربط بين القرى، أو أجزاء السـراة والبوادي في الشـرق، أوالتهائـم في الغرب. وشـاهدت آثار بعض الطرق التي تخـرج من أبها إلى النماص، أو من سـروات النماص إلى بيشـة، أو العلاية في بلاد بلقرن، أو من بيشة إلى وادي ابن هشـبل، وخميس مشـيط وغيرها. وجميعها كانت طرق وعرة وضـيقة تسلكها الـدواب مثل الجمال والحمير وأحياناً المواشـي[٤]. وهناك سـكك أخرى كانت تسـلكها السيارات في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومعالمها مازالت واضحة من بيشة

---

(١) هناك آلاف القرى القديمة في السروات، ومعظمها هجرها أهلها واندثرت، وصارت منازلها نادراً تستخدم، والمستخدمة منها أحياناً تكون مستودعات لبعض الأمتعة كالحطب، والأدوات التراثية القديمة، أو تكون سكناً لبعض المواشي، أو مؤجرة لبعض العمالة الوافدة. ونسبة هذه المنازل المستخدمة قليلة جداً مقارنة بكل القرى المهجورة والمندثرة. ناهيك عن مرافق كل قرية من أفنية، وطرقات، وحصون وقلاع، وآبار، ومقابر وغيرها فجميعها تدخل تحت مظلة العمارة القديمة، وهي تروي صفحات تاريخية حضارية من موروث هذه البلاد السروية. والواجب على سكان هذه القرى ومؤسسات الدولة المعنية بالتراث العمراني أن تسعى إلى ترميمها وصيانتها في عسير، انظر غيثان بن جريس. عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية الاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)٣٧-٥٧.

(٢) قرى وادي ترج قريبة العهد مقارنة بالقرى القديمة في السـروات، أو سـفوح السـروات الشـرقية، من بيشة إلى خميس مشيط، فالأخيرة قديمة يعود تاريخ بعض القرى فيها إلى عشرات العقود وأحياناً إلى مئات السنين.

(٣) تاريـخ القرية القديمة ومرافقها في منطقة عسـير (تهامة وسـراة) مجال كبير للبحـث والتوثيق. آمل من أقسـام التاريـخ، والجغرافية، والاجتماع، والعمـارة والتخطيط في جامعة الملك خالد أن تتضـافر جهودها لدراسة هذا الموضوع عمرانياً، وتاريخياً، وحضـارياً. كما أرجو من الجامعة نفسها، أن تنشئ مركز بحوث متقدماً يهتم بموروث منطقة عسير وبخاصة الجانب العمراني والفني التشكيلي والتراثي وغيره.

(٤) في هذه الجولة، وفي جولات أخرى شاهدت الكثير من الطرق القديمة التي تصل سروات بللحمر، وبللسمر، وبني شـهر، وبني عمرو، وبلقرن ببلاد بيشـة. وجميعها طرق وعرة لا يسلكها إلا المشاة على أرجلهم ومعهم بعض دوابهم. وهناك طرق أخرى قديمة تربط السروات مع الأجزاء التهامية وهي أشد وعورة وخطورة من الطرق الشرقية للسروات. وسمعت من الأوائل روايات وقصص عن تلك الطرق (الشرقية والغربية)، وما يقابلهم من صعوبة تضاريسها، وخطورة وحوشها.

إلى النماص، أو من بيشة إلى أبها وخميس مشيط. وعلى تلك الطرق بعض الاستراحات الصغيرة والمبنية بالطين والحجارة في المرتفعات من بيشة والعلاية إلى النماص وأبها، وهناك استراحات من الطين وأحياناً من الحجارة والطين على الطريق الذي يخرج من بيشة إلى خميس مشيط وأبها[١].

والآبار، والأحمية، والمقابر القديمة، والكهوف، والأسواق الأسبوعية، والمدرجات الزراعية، والمساجد القديمة، والجداول والعيون كل هذه المعالم العمرانية مازالت آثارها واضحة في سروات عسير وسفوحها الشرقية حتى بلاد بيشة وما جاورها. وفي هذه الرحلة وقفت على بعضها في سروات الحجر، ووادي ترج، وحاضرة بيشة. فالآبار وبعض المساجد، والأسواق الأسبوعية، والمدرجات الزراعية مازال كثير منها ماثلاً للعيان، ومستخدم في وقتنا الحاضر. أما الأحمية، والكهوف والجداول والعيون فلم تعد فاعلة بشكل كبير. ومعظم المقابر تم تسويرها من قبل البلديات، وهناك مقابر في بعض الجبال والأودية غير مسورة، ومنها مقابر عديدة في أجزاء من شرق السروات مبنية فوق سطح الأرض، وقد يصل ارتفاعها إلى متر أو مترين [٢].

## ب- العمارة الحديثة:

حل قريباً من القرى القديمة قرى، ومدن، وأحياء حديثة، ومواد بنائها خرسانة الأسمنت والحديد[٣]. وقامت البلديات في المدن والحواضر الكبيرة بوضع الخطط والشروط لتشييد العمارة الحديثة، وعلى كل صاحب بناء أن يحصل على رخصة بناء

---

(١) وقفت خلال العشرين عاماً الماضية على بعض هذه الطرق القديمة، وهي اليوم مندثرة، ومازالت آثارها وبعض استراحاتها واضحة للعيان. والغالب على عمارة تلك الطرق لبساطة، فقد تبني بعض أجزائها لمرور الدواب مثل الحمير أو الجمال المحملة ببعض الأغراض، وربما رصفت مناطقها المنخفضة ببعض الأحجار حتى يسهل المرور عليها. أما الدروب المسلوكة بالسيارات من بيشة إلى النماص، أو خميس مشيط فهي الآخر مرصوفة بالحجارة، لكنها صعبة التضاريس. ورد ذكرها في بعض كتب الرحالة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، كما سمعت بعض الأخبار عنها من بعض السائقين الأوائل في نهاية القرن الماضي، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٢) رأيت نماذج من هذه المقابر في أجزاء من سروات عسير، والباحة، والطائف. كما شاهدت بعضاً منها في بعض الأجزاء التهامية. آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس أنواع العمارة القديمة في عموم السروات وتهامة، وهو موضوع جديد في بابه يستحق الخدمة البحثية.

(٣) تدرج الناس في العمارة الحديثة، فبدأ البعض منهم منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) يستخدم الزنك، ويضيف غرفاً أو مرافق للبيت القديم مثل الحمامات والمطابخ وغيرها، وكانت المادة الرئيسية لتلك الأبنية (الزنك)، ومنهم من استخدم الطوب مع الزنك، أو بدونه، وبنى بعض المرافق المحيطة بالمنزل الرئيسي. وآخرون نزعوا سقوف المنزل القديم المكونة من التراب والخشب، واستبدلوها بالحديد والإسمنت، وهناك من أضاف عمارة حديثة مسلحة إلى العمارة القديمة، أو استبدل بعض أجزائها القديم بالمواد الحديثة، وتدريجياً بدأ الناس يتركون المنازل القديمة، ويبنون بيوتاً حديثة. المصدر: معاصرة الباحث لهذا التطور العمراني في بلاد تهامة والسراة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

من البلدية حسب الشروط المتبعة. كما تأسس صندوق التنمية العقاري الحكومي الذي يمنح المواطن السعودي قرضاً بدون فوائد، ويسدد خلال (٢٥) عاماً[١]. وللصندوق اشتراطات هندسية ومعمارية تتوافق مع شروط البلديات. وبدأ الناس يسعون إلى بناء مساكنهم الحديثة، وكذلك التجار والمستثمرون بنوا مقراتهم التجارية حسب المواصفات الهندسية الحديثة.

وشاهدت العمارة الحديثة الخاصة من أبها إلى النماص وبيشة ثم وادي ابن هشبل، وهي أبنية واسعة في غرفها، وأفنيتها، ومرافقها. تتراوح أدوارها من دور واحد، إلى أربعة وخمسة أدوار. وهناك عمارات قليلة أكثر من ذلك في مدينتي النماص وبيشة. والبلاد التي تدخل في محيط نفوذ البلديات عليها الالتزام بشروط البلدية في مساحة البناء، وارتفاع العمران، وغالباً تكون من طابق إلى أربعة طوابق للعمارة السكنية. أما العمارة التجارية، الواقعة على طريق رئيسي فقد يسمح لأصحابها بزيادة الأدوار إلى التسعة والعشرة، وربما أكثر من ذلك حسب الموقع.

والغالب على البيوت الخاصة أنها متعددة الغرف، وغالباً يكون للبيت الواحد فناء، ومدخلان، أحدهما لدخول مجلس الرجال، وصالة الطعام، وحمام خاص بهذا الجزء. والجزء الداخلي للنساء يتكون من المطبخ، وحمامات،وغرف نوم، ومجلس أو صالة لجلوس النساء. هذا لمن منزله يتكون من دور واحد، أما إذا كان المنزل يتألف من عدة أدوار أو شقق فالغالب أن كل دور أو شقة لا تختلف كثيراً عن البيت المكون من دور واحد. ورأيت كثيراً من المنازل لها أحواش، وأحياناً مظلات ومواقف للسيارات. وهناك من يبني غرفاً أو صالة كبيرة في الحوش، وتكون مخصصة لاستقبال الضيوف، وتقديم الولائم فيها. وفي هذه الرحلة الأخيرة دخلت أكثر من عشرة بيوت خاصة وجميعها متقاربة في التخطيط العام، إلا أنها تتفاوت في المساحات، وعدد الأدوار، والمرافق، وأنواع الديكورات الداخلية والخارجية، ونوعية الأثاث وجودته[٢].

---

(١) هذا الذي عرفته وعاصرته منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)،واستمر صندوق التنمية على هذا المنهاج حتى ثلاثينيات القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم جرى على قروضه بعض التعديل، وإلغاء المعونة التي كان يساعد المواطن بها، وتم عقد اتفاقيات تنموية وتجارية بين صندوق التنمية والبنوك التجارية. وتاريخ صندوق التنمية جدير أن يدرس في عدد من الرسائل والكتب مع توضيح دوره الإيجابي في مسيرة التنمية في عموم المملكة العربية السعودية.

(٢) هذا النظام العام على المنازل الخاصة في عموم المملكة العربية السعودية، وهذا التشابه ناتج عن اللوائح والأنظمة التي تصدرها وزارة البلديات. والبيوت الحديثة في السعودية بدأت من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهي مكلفة، ويبالغ الناس في بناء عماراتهم وتزويقها وتأثيثها. ولا تقارن العمارة الحديثة أبداً مع العمارة القديمة من حيث المساحة والمرافق، والخدمات، والأثاث. ففي السابق كانت بسيطة ومتواضعة بعكس الوقت الحاضر.

نجد في العمارة الحديثة، أن الناس يتفاوتون في تشييد بيوتهم، حسب مكانتهم الاجتماعية، وظروفهم الاقتصادية فالأغنياء، والوجهاء، والشيوخ يبنون منازل كبيرة وواسعة ربما لكثرة من يرتادهم، وكثرة مناسباتهم الاجتماعية. أو وفرة الأموال في أيديهم. والطبقة العريضة من المجتمع منازلهم متوسطة في ديكورها وأثاثها وتخطيطها. وهناك فئات أقل من المتوسطة تكون منازلهم صغيرة نوعاً ما، وبسيطة في أثاثها وتزويقها، ومساحتها[1].

وتختلف العمارة التجارية من مكان لآخر، فالطرق الرئيسية من أبها إلى النماص تتوفر عليها الدكاكين الصغيرة، ومحطات البترول والمطاعم على الطريق. وفي مراكز صبح، وبللسمر، ومدينتي تنومة والنماص تكثر هذه الخدمات، ولا تخلو من أسواق كبيرة، مثل: أسواق العسيري في تنومة والنماص، وأسواق ابن سلام، والعثيم، وأسواق أخرى عديدة ومتنوعة في معروضاتها بالنماص، ومعظمها تقع على الشارع الرئيسي. ولا تخلو الطريق الممتدة من شمال مدينة النماص إلى مركز السرح، ثم طريق وادي ترج وبخاصة المراكز الرئيسية ( القوباء، والبهيم، ومهر، والحازمي) فهناك الكثير من المحلات التجارية ومحطات الوقود المتفاوتة في مساحتها ونوعية سلعها. أما مدينة بيشة فهي مكتظة بالأسواق الكبيرة مثل: بندة، والراية، والهرم، وسنتر بوينت، وإكسترا، وسمينا، وروشن مول، والحازمي، وسوق الشهيلاء للمواشي، وسوق التمور. ولا يخلو شارع رئيسي أو متوسط في مدينة بيشة من محلات تجارية متنوعة في خدماتها، مثل: المكتبات، والمطاعم والبوفيهات، والبقالات، ومحلات شرب القهوة، ودكاكين للجوالات، وإصلاح المعدات المختلفة. والطريق من بيشة إلى خيبر الجنوب ووادي ابن هشبل لا تخلو من خدمات تجارية، لكنها متوفرة بشكل أكبر في بلدتي خيبر الجنوب ووادي ابن هشبل.

ورأيت في البلاد التي زرتها بعض الفنادق والكثير من الشقق المفروشة والوحدات السكنية في داخل المدن، وعلى الشوارع الرئيسية، وفي الأماكن أو التجمعات السياحية. وتكثر في مدن تنومة، والنماص، وبيشة. وتتفاوت عماراتها في عدد الأدوار، ومساحاتها الأفقية، وتعدد مرافقها. فالشقق تتكون من عدة طوابق، والتجمعات السياحية تتألف من فلل صغيرة من دور أو دورين، وكل فلة مستقلة بذاتها وتحتوي على بعض الخدمات مثل المسابح وغيرها. والفنادق في بيشة والنماص قليلة لكنها تتكون من عدة أدوار، وتخطيطها الداخلي مكون من غرفة وحمام، وأحياناً غرفتين أو ثلاث وحمامين.

---

(١) هذا ما رأيته أثناء رحلتي في بعض قرى بللسمر، وبللحمر، وتنومة والنماص، ومراكز القوباء، والبهيم، ومهر، والحازمي والثنية في بيشة، وفي خيبر الجنوب.

والأبنيـة الحكومية كثيرة، فـلا تخلو ناحية من مدارس حكوميـة، وأبنية لكثير من المؤسسـات الإدارية مثل: المحافظـات والمراكز، والمحاكم الشـرعية، والبلديات، وكتابة العدل، والشـرطة، والدفاع المدني، والمستشفيات في بللسمر، وتنومة، والنماص، وبيشة، ومراكـز للرعاية الصـحية في أمكنـة كثيرة من المراكـز والمحافظـات. ومعظم المباني الحكومية في مدن تنومة، والنماص، وبيشـة. وبيشـة أفضل الحواضـر التي يوجد فيها عمارت حكومية، وجامعة بيشـة تعمل في مبان رسـمية متعددة في أدوارها، ومساحتها، ومرافقها[١]. ولا تخلو المنطقة من سـدود مائية شـيدتها الدولة، وأهمها سد الملك فهد في بيشـة الذي يصـل ارتفاعه إلى (١٠٣) أمتار، وطاقته التخزينية (٣٢٥) مليون متر مكعب، وهو من أكبر السدود في المملكة العربية السعودية[٢].

والحدائق وصالات الأفراح من الأبنية المنتشرة في أمكنة كثيرة. فالحدائق في محيط مراكز بللسـمر، وتنومة، والنماص، ومدينة بيشة وبعض مراكزها. ورأيت بعض الأمكنة السـياحية التـي لا تخلو من خدمـات تجميلية، ورعايـة لأغطيتها النباتية. والصـالات الكبـيرة تقـع في محيط الحواضـر والمدن الكبـيرة، ولا تخلو بعض المراكز من صـالات واسعة ومتعددة المرافق. أما الاستراحات الصغيرة أو المتوسطة فهي منتشرة في القرى، ومواطن الاسـتيطان القريبة من المدن الكبيرة وجميعها ( الصـالات، والاسـتراحات ) معروضة للإيجار في الاحتفالات والمناسبات المختلفة[٣].

تتعـدد البنوك التجاريـة في محافظات بيشـة، والنماص، وتنومة. ويوجد بعضـها في مراكـز مهر، والحازمـي، والقوباء، والبهيم، والسـرح، وبللسـمر، وبللحمر. وتتكون عماراتها من دور واحد أو دورين. والبنوك الأكثر انتشارا: الراجحي، والعربي، والأهلي. كما تكثر بعض المزارع والاستراحات البرية في بيشة[٤].

---

(١) تاريـخ العمـارات الحكوميـة في منطقـة عسـير موضـوع جديد في بابـه يسـتحق أن يدرس منذ منتصـف القرن(١٤هـ/٢٠م)، وما جرى على هذا المجال من تبدلات عمرانية وتنموية خلال التسـعين عاماً الماضـية ( ١٣٥٠-١٤٤١هـ/١٩٣١- ٢٠٢٠م).

(٢) ذهبت في (١٤٤١/١٢/١٢هـ) لزيارة السد مع بعض الزملاء من محافظة بيشة، لكن وجدناه مغلقاً ومنعنا حراس السد من الدخول، وقالوا إنه مغلق منذ فترة، ولا نسمح لأحدٍ بالدخول.

(٣) انتشـرت الصـالات والاستراحات بشكل كبير خلال العشـرين عاماً الماضية، وصـار الناس يفضلون إقامة مناسـباتهم واحتفالاتهم في الصـالات والاسـتراحات. وأجورهـا تتفاوت من مكان لآخـر، لكن تتراوح من (٥٠٠) ريـال للاسـتراحة الصـغيرة في الليلة إلى عشـرة آلاف، وربمـا (١٥) و(٢٠) ألف ريـال للقاعات والصالات الكبيرة في النماص، وبيشة، ووادي ابن هشبل.

(٤) كل الأوطان التي مررت عليها زراعية، ملكها أهلها بالإرث. لكن في بيشة بعض السرويين والبيشيين تجار من مناطق أخرى في المملكة قدموا إلى بيشة وشروا بعض الأراضي التي حولوها إلى مزارع أو استراحات خاصة، ومنهم من اشترى مزارع جاهزة، وأضافوا لها بعض المرافق العمرانية مثل البيوت الخاصة، والآبار وغيرها.

والطرق والكباري الحديثة من المنشآت العمرانية التي حرصت الدولة على تشييدها. فالناظر في كل مدينة أو مركز يجدها مخدومة بالعديد من الطرق الداخلية المسفلتة التي تربط أطرافها بوسط المركز أو المدينة. ولم تبق قرية كبيرة إلا وصلتها الطريق. ومعظم الطرق بين القرى محدودة العرض، فهي تتراوح بين (٥ـ ٨م)، والطريق الرئيسية، هي: **(١)** طريق أبها، بللحمر، بلسمر، تنومة، النماص، وهي جزء من الطريق الرئيسي الذي يخرج من الطائف إلى أبها[١]. وهناك طرق عديدة تربط السروات بالمناطق الشرقية التابعة لمحافظتي خميس مشيط وبيشة، وهناك أكثر من طريق من أبها إلى النماص والعلاية في محافظة بلقرن. ومنها الطريق الذي يتجه من مركز السرح عبر وادي ترج، وهو الذي سلكته، يجتاز مراكز وادي ترج ( البهيم)، ومهر، والحازمي حتى بيشة. وطرق بيشة الداخلية أفضل من محافظتي تنومة والنماص، يتخللها عشرات الطرق الفردية والمزدوجة[٢]. **(٢)** يخرج من بيشة عدد من الطرق المسفلتة، مثل: **(أ)** طريق بيشة رنية خط واحد. **(ب)** طريق بيشة الرين خط واحد. **(ج)** طريق بيشة العلاية ومعظمه حتى الآن(١٤٤١هـ) خطان. **(د)** طريق بيشة تثليث خط واحد. **(هـ)** طريق بيشة الخميس خط واحد، والعمل جار لتطويره إلى اتجاهين. وبيشة تعد من أكبر حواضر منطقة عسير، وهي بحاجة إلى خدمة أكبر وأفضل في مجال الطرق الداخلية والخارجية [٣].

وأثناء تجوالي في وادي ترج من مركز القوباء في أعلاه إلى مركز الحازمي في أسفله، وجدته من المناطق الطبيعية البكر التي يجب خدمته والاستفادة منه في ميدان السياحة. ومن أكبر الصعوبات فيه عدم وجود طرق مسفلتة تربط قراه وجنباته مع الطريق الرئيسي الذي يخرج من مركز السرح إلى بيشة. بل إن هذا الطريق الأخير مازال غير مخدوم في كثير من أجزائه السفلية[٤].

---

(١) إنه طريق قديم وهو حالياً مزدوج بعرض تقريباً (٤٠م). كان في الماضي من أصعب الطرق التي تربط الحجاز بعسير، ووقع عليهأحداث تاريخية عديدة تستحق أن تدرس في كتاب أو رسالة علمية خلال القرون الماضية المتأخرة.

(٢) لاحظت من الطرق المزدوجة في مدينة بيشة. (١) شارع مكة من نمران إلى الروشن. (٢) شارع الستين غرب المدينة. (٣) طريق النخيل وسط المدينة. (٤) طريق الملك سلمان. (٥) طريق ولي العهد في الحزام الشمالي. (٦) طريق الملك سعود الذي يمر على المطار ويتجه نحو الخميس. وهناك طرق أخرى عديدة في بعض مراكز بيشة.

(٣) مشاهدات الباحث يوم الأحد (١٤٤١/١٢/١٢هـ) والطرق التي تخرج من بيشة إلى خميس مشيط، وتثليث، والرين،ورنية تستحق أن تتحول إلى طرق مزدوجة، أرجو أن يكون ذلك قريبا.

(٤) أذكر هذه التوصية على وادي ترج لعدة أسباب، منها: (١) جمال طبيعته وتنوع غطائه النباتي. (٢) كثرة وجودة الزراعة فيه وبخاصة زراعة التمور، والعنب، وفواكه وخضروات أخرى عديدة. (٣) عراقته التاريخية فهو مذكور في كتب التراث الإسلامي، وفي بعض الكتب اللاتينية. عاش فيه شعراء جاهليون كثر، واستوطنه قبائل عربية عريقة. (٤) لا يخلو من ثروات معدنية جديرة بالرعاية والتنقيب. (٥) مليء بالنقوش التاريخية التي تعكس أهميته الحضارية، وذكر أعلام عبر أطوار التاريخ عاشوا فيه، وكان لهم بعض الجهود التاريخية.

والجوامع والمساجد الحديثة من المعالم الحضارية المعاصرة. فالذاهب من أبها إلى النماص، ثم وادي ترج حتى بيشة، ومركزي خيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل وما جاورها من بلاد أبها وخميس مشيط يلحظ فخامة الجوامع المشيدة في هذه البلاد ابتداءً من مواقعها الجغرافية، ومساحتها، وطريقة بنائها وتشييدها، وجمال تصميمها. كذلك المساجد المتناثرة في كل قرية، أو حاضرة، أو على قارعة الطرق الرئيسية، أو الفرعية، فهي الأخرى لا تقل كثيراً في جودتها عن الجوامع[١].

وقفت عند عدد من المساجد في بللحمر، وبللسمر، وتنومة، والنماص، ومراكز البهيم، ومهر، والحازمي، ومدينة بيشة، ووادي ابن هشبل، فوجدت الكثير منها شيدت على حساب محسنين بعضهم من أهل البلاد، وآخرين من التجار وأصحاب الأموال في مناطق عسير، والقصيم، والوسطى، والشرقية، وغيرها. وكل الجوامع والمساجد التي شاهدتها تتراوح مساحتها بين (١٥×٢٠م) إلى (٦٠×٦٠م)، وربما هناك جوامع لم أرها وهي أكبر من هذه المساحات. أما المساجد الصغيرة التي تتراوح مساحاتها من (١٠×١٠م) إلى (١٥×١٥م) فهي كثيرة في القرى، وعلى جوانب الطرق الفرعية في كل محافظة أو مركز[٢].

والعمارة الحديثة التي تألفت منها القرى، والمدن، والأحياء في سروات عسير، ومحافظة بيشة، وعلى الطريق من بيشة إلى خميس مشيط كثيرة ومتنوعة في أهدافها، وطرق استخدامها، ولم أذكر إلا نماذج بسيطة منها. وجميع مواد تشييدها الإسمنت والحديد. أما تزويقها من الداخل والخارج، وأثاثها فيختلف من عمارة لأخرى. ومعظم مواد الديكورات والتزويق والأثاث مستورد من الداخل والخارج. وهذا خلاف العمارة القديمة التي كان معظم مكوناتها من الطبيعة المحلية، والأيدي العاملة من أهل البلاد أنفسهم، وربما شارك بعض اليمنيين في بناء العمارة القديمة. وعمارة اليوم قائمة على الأيدي العاملة الوافدة من خارج المملكة العربية السعودية، وبعضهم من دول عربية مثل: اليمن، ومصر، والسودان، وسوريا، والمغرب. أو من دول غير عربية مثل: الهند، والباكستان، وبنجلاديش وغيرها[٣].

---

(١) كثير من الجوامع والمساجد مسماة ببعض أعلام التاريخ الإسلامي في القديم والحديث. وأخرى سميت بأسماء من بناها وشيدها. وتاريخ الجوامع والمساجد في منطقة عسير أو في عموم بلاد السراة وتهامة من الموضوعات الجديدة التي لم تخدم بحثياً. آمل من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا في أقسام الجغرافيا أو السياحة، والتاريخ، والهندسة المعمارية أن يدرسوا هذا النوع من العمارة الحديثة.

(٢) مازال في بعض القرى مساجد قديمة تم توسعتها وترميمها وتقام في بعضها صلاة الجمع والجماعات. وأخرى يصلى فيها صلوات الفروض الخمسة ما عدا صلاة الجمعة.

(٣) إن العمل على دراسة مقارنة للعمارة قديماً وحديثاً في منطقة عسير أو بلاد السروات وتهامة موضوع مهم جدير بالبحث والدراسة والتوثيق.

## ٤. الطعام واللباس :

كان الطعام واللباس قديماً يصنع محلياً بأيد محلية، ومواد الطعام من منتوجات الناس الزراعية والحيوانية، وربما حصلوا على بعض الأطعمة عن طريق الصيد البري للطيور، والغزلان، والربيان وغيرها. وبعض المنسوجات والأقمشة تجلب من الأسواق الأسبوعية في السراة وتهامة أو من الحجاز، وألبسة النساء تصبغ باللون الأسود، أو الأزرق ثم تخيط. والألبسة والأطعمة في السابق محدودة عند معظم الناس، وأعيان الناس والمقتدرون مادياً كانت ألبستهم وأطعمتهم أفضل من غيرهم. وحياة الناس في المدن والحواضر الكبيرة أفضل من أهل البوادي والأرياف [١].

وأطعمة وأشربة الناس اليوم متعددة الأنواع والمذاق، ومنها أطعمة نباتية وأخرى حيوانية. وجميع أطعمة الأفراد والأسر مستوردة من الداخل والخارج. وربما بعضها يزرع محلياً، لكن ليس من عمل الإنسان نفسه، وإنما يحصل عليها من الأسواق. وعند تنقلي بين أبها، والنماص، وبيشة، وحاضرتي خميس مشيط وأبها شاهدت عشرات الأسواق الصغيرة، والكبيرة المليئة بالمواد الغذائية الطازجة والمعلبة والمستوردة من أماكن كثيرة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وهناك الفواكه والخضروات واللحوم المعروضة في كل الأسواق التي دخلتها أو مررت من حولها. ويصعب حصر كل المواد الغذائية والأشربة التي يحتويها كل سوق. وهناك أسواق كبيرة مثل بندة والعثيم التي جمع فيها تحت سقف واحد آلاف الأنواع من الأشربة والأطعمة. وإن زرت المطاعم الصغيرة والكبيرة، والبوفيهات في بيشة، والنماص، وتنومة وغيرها من المركز فسوف تشاهد مئات الأنواع من المشروبات والمأكولات النباتية والحيوانية[٢].

والأشربة والأطعمة في المنازل والقرى والمدن تختلف من مكان لآخر. فسكان المدن والحواضر الكبيرة يأكلون أطعمة وأشربة في منازلهم من صنع النساء أو الخادمات، والكثير من الناس في العقدين الأخيرين (١٤٢٠-١٤٤٢هـ/٢٠٠٠-٢٠٢١م) يجلبون أطعمتهم وأشربتهم من المطاعم المنتشرة في أنحاء البلاد، وأحياناً يخرج أفراد الأسر للأكل في المطاعم. وقد يجتمع بعض الرجال والشباب في الاستراحات والمطاعم لتناول وجبات الغداء أو العشاء. ويلاحظ أن الشباب من الذكور والإناث يفضلون الأكل

---

(١) للمزيد عن حياة الناس في عسير في السروات وتهامة وبخاصة في الطعام والشراب، واللباس والزينة، انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٥٨-٧٤. وهناك مواد متناثرة في هذا الجانب للمؤلف نفسه. القول المكتوب في تاريخ الجنوب: موسوعة تاريخية حضارية (ق١-ق ١٥هـ/ق٧-ق ٢١م) (عشرون مجلدا).

(٢) تاريخ الطعام والشراب في مناطق عسير، ونجران، وجازان، والباحة، والطائف، والقنفذة خلال العصر الحديث (ق١٠-ق١٥هـ/ ق١٦-ق٢١م) من الموضوعات الحضارية المهمة الجديرة بالبحث والتوثيق. وهناك الكثير من الوثائق غير منشورة وفيها مادة علمية جديدة تخدم لدراسة هذا الموضوع في رسائل وكتب عديدة.

الخارجـي من المطاعم، وبخاصـة مطاعم الأكل السـريع (Fast food). وكبار السـن من الرجال والنسـاء يفضلون أكل البيت وبخاصـة المعمول داخل المنازل. وأهل البوادي والأريـاف مـازال الكثير منهم يفضـلون أطعمة البيـت. ومكثت في بعض قـرى بللحمر وبللسـمر ووادي ترج وسـألت بعض رجالها عن الطعام والشراب فذكروا أنهم يفضلون طعـام البيـت الذي يعد من قبل النسـاء مـن الزوجـات والأمهات والأخـوات والبنات، ويتذمرون من جلب أطعمة وأشربة من المطاعم الخارجية[١].

وشـاهدت أنواع المطاعـم في محافظات النماص، وتنومة، وبيشـة. ومراكز خيبر الجنـوب، ووادي ابـن هشـبل، واثنين بللسـمر فكانـت متنوعة مثل: المطاعـم التجارية اليمنية، والهندية، والباكستانية. وهناك أطعمة مصرية، وأفغانية، ومحلات للشوكولاته ( والبيتزا هت )، وغيرها من الأطعمة والأشـربة التي تتولى تسـويقها والإشراف عليها شـركات عالمية مثل: هرفي (Hervey) وماكدونالد (Macdonald)، وكودو (Kudu)، وبرجركنـج (Burger king)، وشـاورما (Shawarmea) والبيـك (Al-Baik) ودجاج كنتاكي (Kentucky Fried Chicken) وغيرها[٢].

وهناك مطاعم ومطابخ كبيرة، بعضـها مسـتقلة بذاتها، وأخـرى تابعة لبعض الفنادق تقدم الأشـربة والأطعمة المطلوبة في المناسـبات والاحتفالات الكبيرة. واللحوم والأرز من أهم أنواعها، بالإضـافة إلى ما تقدم من إدامات، وحلويات، وأكلات شـعبية، وفواكه وخضـروات. وحضرت بعض المناسـبات الكبيرة في أيام عيد الأضحى بالنماص وبيشة، وكانت محتويات الأطعمة المقدمة في تلك اللقاءات كثيرة ومتنوعة[٣].

جل الأيدي العاملة التي تقوم على إعداد الأشـربة والأطعمة في المطاعم الصـغيرة والكبيرة، وفي الفنادق، والمطابخ التي تشـرف على الاحتفالات والمناسـبات الاجتماعية الكبـيرة مـن العمالة الوافدة، بعضـهم من جنسـيات عربيـة، وأخرى آسـيوية. ونادراً تجـد أفراد سـعوديون يقومـون بمزاولة أعداد الشـراب والطعـام في المطاعم والمطابخ والبوفيهات[٤].

---

(١) إن المدنيـة ووفرة المـال في أيدي الناس جعلهم يجلبون الأشـربة والأطعمة من المطاعم التجارية. وصـارت الأجيـال الجديدة تفضـل الأكل الخارجـي على الأطعمة المطهية داخل المنزل، وكثير من النسـاء أصـبحن يفضلن شراء الشراب والطعام الجاهز.

(٢) هذه الأطعمة الحديثة والمسـتوردة غير صـحية، لها مذاق جيد، لكن مكوناتها غير جيدة وتضـر بالصـحة العامة. وتاريخ الأطعمة الحديثة المستوردة جدير بالدراسة مع توضيح سلبياتها وإيجابياتها.

(٣) للأسـف أن هناك إسـرافاً في تقديم الولائم والمناسبات الاجتماعية الكبيرة، وقد يرمى الكثير منها، مع أن البعض من أصحاب المناسبات يقولون سوف توزع على المحتاجين وأحيانا يوفون بما قالوا،وفي أوقات عديدة ترمى النعمة في القمامة.

(٤) بخلاف الناس سـابقاً فأبناء الأسـر أوالقرية الواحدة يقومون على ذبح الذبائح وأعداد الأشربة والأطعمة

أما اللباس والزينة فالثوب والغترة والطاقية والعقال للرجال، وهذا اللباس السعودي في عموم المملكة العربية السعودية[١]. والملابس الداخلية السروال و(الفنلة) القصيرة وهناك من يلبس عليها فنايل وسراويل طويلة وثقيلة أيام البرد. وبعض الرجال والشباب يلبسون الثياب بدون الغترة، وانتشر لبس القميص والبنطال، وكان في السابق لا يلبسها إلا الوافدون من المدرسين العرب، أو الأجانب الذين يعملون في المستشفيات والشركات، ثم بدأ الشباب، وبعض الرجال يلبسونها داخل البيت وخارجه، إلا أن السعوديين الموظفين في مؤسسات حكومية يلتزمون بلبس الثوب والغترة والعقال، وكذلك العاملون في بعض المؤسسات الأهلية والتجارية مثل البنوك، والمستشفيات والمستوصفات الخاصة وغيرها.

ويلبس الرجل والشاب الأكوات، والعباءات وغيرها، ومنها الثقيلة المخصصة للبرد، وأخرى خفيفة للتزين بها. وتلبس المشالح في المناسبات الاجتماعية والاحتفالات الرسمية، وغالباً يلبسها الأعيان، وشيوخ القبائل، والمسؤولون، وتلبس بعض الملابس الرياضية في أوقات الترفيه والتنزه. ونجد الكثير من الشباب الذين تتراوح أعمارهم من (١٥- ٤٠) عاماً يفضلون لبس البناطيل والأقمصة في جميع أوقاتهم. ولبس هذه الملابس الأجنبية تكثر في المدن والحواضر الكبيرة مثل: بيشة، والنماص، وتنومة، ووادي ابن هشبل. أما القرى الصغيرة والريفية فمازال الشباب الصغار ومتوسطو الأعمار يتمسكون بلبس الثوب، وأحياناً يتخلون عن الطاقية والغترة [٢].

وهناك أسواق خاصة بألبسة الرجال والشباب، وفيها عشرات الأنواع من الثياب، والغتر، والطاقيات، والمشالح، والملابس الداخلية، وأدوات الزينة المختلفة من العقال، والعطور، والساعات وغيرها. ومحلات لخياطة الملابس الرجالية. وقد زرت بعضها في تنومة والنماص وبيشة، وهم يخيطون الثياب السعودية، والكويتية، والإماراتية، والقطرية. والأكوات القصيرة والطويلة، والبدلات المدنية والعسكرية [٣].

---

في المناسبات الاجتماعية الخاصة بأسرهم وقراهم. والواجب على الشباب السعودي أن ينخرطوا للعمل في المطاعم والمطابخ، ومن يعمل ذلك يجني فوائد وأرباحاً مادية جيدة.

(١) كان الثوب قديماً هو اللباس الوحيد للرجال، والشباب، والأطفال، مع تغطية الرأس بالعمامة والغترة، ولبس الحزام من الجلد أو القماش. للمزيد انظر غيثان بن علي جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٦٥- ٧٥.

(٢) إن إنجاز دراسة مقارنة عن الألبسة والزينة قديماً وحديثاً موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٣) ملابس الرجال كثيرة، فالفرد سابقاً كان لا يملك إلا ثوباً أو ثوبين، وربما اشترك الأخوان في ثوب أو غترة واحدة. واليوم أصبح الشباب والرجال والأطفال الذكور يمتلكون عشرات الأنواع من الملابس الداخلية، والثياب، والبناطيل والأقمصة الرياضية وغيرها.

وألبسة وزينة النساء لا تقارن مع ألبسة الرجال والشباب، فهناك عشرات الأنواع التي تُلبس للبدن داخلياً وخارجياً. وألبسة الرأس تختلف في أنواعها وأشكالها. والذاهب إلى الأسواق النسائية يرى مئات الموديلات المتنوعة في الأشكال، والتفصيل، والأحجام، والماركات، وأماكن الصنع. فهناك ملابس تفصل داخلياً عند الخياطين الذين معظمهم من جنسيات وافدة. وألبسة النساء المعروضة في الأسواق، والموديلات التي يصنعها الخياطون أجنبية، وتختلف كلياً عن ألبسة النساء قديماً، ويغلب عليها القصر، ومنها البناطيل، والأقمصة، والتنورات الضيقة التي تظهر مفاتن المرأة. وهذا النوع من اللباس هو السائد عند النساء والشابات وحتى متوسطات الأعمار، أما النساء الكبيرات فمازال معظمهن يلبسن ألبسة طويلة ساترة لجميع أجزاء الجسد. ومن يزور بعض الأسواق الشعبية في النماص وبيشة أو أبها وخميس مشيط فإنه يرى الكثير من الثياب ذات الأكمام الطويلة والواسعة. ومعظم النساء تكون رؤوسهن غير مغطاة داخل البيت. والنساء من أبها إلى النماص فبيشة يلبسن العباءات والنقاب إذا خرجن من منازلهن [١].

وأدوات زينة المرأة متنوعة، وهناك أسواق كبيرة وكثيرة، وفيها مئات المعروضات الخاصة بزينة المرأة من العطورات، والكريمات، والبودرات، والساعات، ومواد الزينة للوجه، والرأس، والجلد، وعموم الجسد. ومحلات الذهب والمعادن والأحجار الكريمة تشتمل على الكثير من الأصناف الخاصة بزينة المرأة. وصارت المرأة اليوم تحرص أن يكون في حوزتها أصناف من أدوات الزينة المعروضة في أسواق الزينة. وهناك محلات (مشاغل) خاصة بجمال المرأة وزينتها، وتصفيف شعرها، والعناية ببشرتها. وهذه الأماكن متوفرة في كل مدينة وبلدة كبيرة في عموم منطقة عسير [٢].

ولباس القدم عند الرجال والنساء، الصغار والكبار، تطور في الشكل، والنوع، واللون، والحجم. وهناك أسوق خاصة بألبسة القدم للجنسين. ومن ينظر إلى هذه المحلات التجارية يجد معظمها مصنوع من الجلد أو البلاستيك، ومستوردة من بلدان كثيرة في العالم. وتتفاوت أسعارها حسب أنواعها وماركات صنعه. والتنوع في أحذية النساء أكثر من أحذية الرجال، وأسعار أحذية النساء أغلى [٣].

---

(١) النساء في عموم بلاد السروات وتهامة يلبسن الحجاب والنقاب إذا خرجن من منازلهن، وفي الآونة الأخيرة بدأ بعض النساء ينزعن الحجاب عن وجوهن أثناء الخروج وقد تزداد هذه الظاهرة مع العولمة والانفتاح الذي تمر به البلاد.

(٢) تاريخ المرأة وما جرى على نظام حياتها منذ خمسين عاماً حتى الآن (١٣٩٠-١٤٤١هـ/١٩٧٠-٢٠٢٠م) موضوع يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٣) ألبسة القدم قديماً بسيطة ومتواضعة، ومعظمها من الجلد، وربما صنعت من الخصف. ومعظم الناس كانوا يمشون حفاة لعدم وجود ألبسة لأقدامهم. واليوم تغير الحال، وكثر اللباس لجميع أجزاء الجسد.

ومصطلحات الطعام والشراب، واللباس والزينة تعددت، واختلف أكثرها عن أسماء وأدوات الشراب والطعام والزينة واللباس قديماً. وذلك لانفتاح العالم على بعضه، ودخول الكثير من الأطعمة والألبسة التي لم تكن معروفة من قبل، وكثير من مصطلحاتها وأسمائها أجنبية وغير عربية. وسوف تجد أجيال اليوم والمستقبل صعوبة في معرفة المفردات العربية الخاصة باللباس والزينة والشراب والطعام قديماً. والواجب على المؤسسات التعليمية وبخاصة الجامعات من خلال مراكز بحوثها أن تشجع وتدعم إصدار معاجم لغوية للأشربة والأطعمة والملابس والزينة القديمة مع ذكر التحولات في الأسماء والمفردات الخاصة بهذه الميادين، ولا يمنع أن تقارن بين أسماء هذه الميادين في الماضي والحاضر، وإن فعلت ذلك فقد تخدم موروثنا الحضاري، وترشد الأجيال القادمة إلى شيء من التبدلات الحضارية التي حصلت لموروث آبائهم وأجدادهم [١].

## ٥. عادات، وتقاليد، وأعراف:

كان أفراد الأسرة أو الأسر يجتمعون أثناء الوجبات اليومية الرئيسية، وفي أوقات محددة للإفطار، والغداء، والعشاء. واليوم تغير الحال، فالكبار في السن مازالوا محافظين إلى حد ما على أوقات الوجبات، أما الشباب ومتوسطو الأعمار فأوقات تناولهم الطعام غير منظمة، وربما أكل كل واحد في وقت مختلف. وأوقاتهم للنوم والاستيقاظ مضطربة، فهم يسهرون الليل، ويتأخرون في النوم إلى منتصف النهار وربما إلى العصر. وأهل المدن والمراكز الحضارية الكبيرة هم من يمارسون هذه العادات، أما أهل البوادي والأرياف فمازال بعضهم على عادات الأوائل في أوقات النوم، وتناول الطعام، ومجالس سمرهم ولقاءاتهم الاجتماعية[٢].

وكون رحلتي كانت في الصيف، وفي أيام عيد الأضحى المبارك فقد شاهدت الكثير من السياح الذين جاءوا من أنحاء المملكة العربية السعودية. وبعض الأسر والأفراد الذين جاءوا من المدن الكبيرة لزيارة أهاليهم وبلادهم في سروات عسير ومحافظة بيشة. وهؤلاء أثروا في النشاطات الاجتماعية والاقتصادية فازدحمت الشوارع والأسواق، وزادت الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، وكثرت النشاطات الترفيهية في الملاهي والأماكن السياحية [٣].

---

(١) كم نحن في أمس الحاجة إلى إصدار معاجم لغوية لجميع الميادين في موروثنا الحضاري، وماذا حصل له من تحولات خلال التسعين سنة الماضية.

(٢) هذا الذي شاهدته في محافظات تنومة، والنماص، وبيشة. كما زرت بعض الأسر في بوادي بللحمر وبللسمر ووادي ترج. وهناك اختلاف في حياتهم عن أهل الحاضرة، وصار أهل الأرياف والبوادي يتأثرون بحياة أهل المدن والحواضر.

(٣) تكثر في الصيف كل المناشط الاجتماعية والرياضية والدعوية والتعليمية والتثقيفية.وهذا ديدن أهل البلاد

وجميـع البلاد التي ارتحلـت فيها يغلب عليها الطابع القبلـي، والقبائل لها أعراف وعـادات قديمة ومازالت حتـى اليوم، مثل : إكرام الضـيف، واجتماع أفـراد القبيلة أو القرية الواحدة في المسـاجد لأداء الصلوات المفروضـة أو صلاة العيد[١]. والاجتماع في مناسـبات الزواج، أو المآتم ، ولا تخلو مجتمعاتهم مـن التكافل والتعاون مع المكروب، أو من حدث له مصـاب أو مشـكلة، وزيارة المرضـى في منازلهم أو المستشـفيات. وأصبح هناك جمعيات تعاونية تتفقد أحوال الفقراء، والأيتام، والمحتاجين[٢].

والزواج وعادته قديماً وحديثاً يتم وفق الشروط الشرعية من البحث عن الزوجة وخطبتها، ثم كتابة العقد عليها، وإقامة الزواج في مناسـبات اجتماعية تختلف من فرد لآخر، ومن أسرة لأخرى. إلا أن الزواج اليوم صاحبه مبالغة في المهور، وتكاليف أخرى أيام الزواج من ولائم وصالات أفراح، وسفريات. وقد سألت بعض الأعيان والوجهاء والمثقفين في سروات الحجر ( بللحمر، وبللسمر، وبني شهر، وبني عمرو) ،وفي وادي ترج، وبيشة، فقالوا: (( إن الزواج اليوم لا يقارن مع الزواج في الماضي، ففي السابق كان الرجل يتزوج فقط من بنات قريته أو القرى القريبة منها ضمن إطار قبيلته، وربما اتسع نطاق الزواج إلى القبائل المجاورة، أما في وقتنا الحاضـر فصـار الرجل يتزوج مـن أي مكان في المملكة، وإن رغـب في الزواج من خارج البلاد كان ذلك حسـب الموافقات والشـروط التي تنص عليهـا أنظمـة الدولة. والمرأة أيضـاً تتزوج من خارج بلادها، وأحيانـاً من أبناء ديرتها الذين عاشـوا في المدن الكبيرة) )[٣]، وتحدثت معهم عن وضـع الشـباب والشـابات في بلادهم، وعن وضـع المرأة بشـكل عام، فقالوا: " إن النسـاء وبخاصـة العازبات كثرن، وبعضـهن وصلن سـن العنوسـة " ولم يتزوجن، وهناك بيوت فيها الثلاث والأربع وربما اقل أو أكثر تجاوزن الثمانية والعشـرين عاماً، والكثير من ظروف الشـباب الاقتصادية لا تساعدهم على الزواج لارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة. كما أن بعض الفتيات لا يرغبن في الزواج، لكثرة ما يسـمعنه من أخبار عن كثرة الطلاق وارتفاع نسـبته. والمرأة اليوم

---

المتدة من أبها إلى محافظ النماص، لكن صـيف عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) كان مختلفاً للظروف الصـحية والاجتماعية التي نتجت عن انتشار مرض كورونا (Corona)فلم يكن هناك نشاطات ولقاءات كثيرة وكبيرة، وهذا ما سوف أذكره في صفحات تالية من هذا المحور.

(١) هذه عادات كانت ومازالت سـائدة عند معظم سـكان تهامة والسروات، وقد جرى عليها بعض التغيرات في الأوقـات، والأداء، وربما في الاصـطلاحات اللغوية. كما أنها تراجعت بعض الأعراف القديمة وبخاصـة في المدينة نتيجة لوفرة الأموال، وتنقل الناس وأسفارهم من مكان لآخر.

(٢) كل هذه الأعراف التي يسودها التكافل والتراحم مازالت موجودة في عموم بلاد عسير، والمجتمعات القبلية والدولة تسـاهم في خدمة الفرد والمجتمع اجتماعياً وتكافليا. وهناك الكثير من الوثائق التي تؤكد صـحة ما ذهبنا إليه.

(٣) مقابلة الباحث عدداً من الوجهاء والشـيوخ والمثقفين في محافظات تنومة والنماص وبيشـة وما جاورها في الفترة من (١٠-١٣/ ١٢/ ١٤٤١هـ).

اختلفت كثيراً عن المرأة قديماً، فقد خرجت من البيت، وشاركت الرجل في الكثير من الأعمال الرسمية والأهلية، بل بعض النساء المتزوجات يفضلن الانفصال والاستقلال، وبخاصة الموظفات، ومن صار لديهن سيارة، ويستطعن خدمة أنفسهن دون الحاجة إلى الرجال..."[١].

ما من شك أن ارتفاع دخل الفرد (ذكراً وأنثى)، وتطور حياة الناس الاقتصادية، والتعليمية، والتنموية أثر سلباً على ترابط الناس وتراحمهم، فلم يعد بينهم تلك القربى والمودة التي كانت عند الأوائل من الآباء والأجداد، ولا أنكر أن الخير مازال جارياً بين طبقات المجتمع بجميع شرائحه، لكن المصلحة المادية أصبحت ظاهرة بقوة بين علاقات الناس صدقاتهم وتواصلهم. والسائر في الأرض والتأمل في حياة البشر، يرى كلاً يركض ويجادل ويعمل من أجل حطام الدنيا، والموفق من سعى في كسب رزقه مع مراعاة مصادر حلاله وحرامه، وعمل لدنياه وآخرته معاً[٢]. وأثناء تجوالي في بللحمر، وبللسمر، وتنومة، والنماص، وبيشة ومجالسة بعض الأفراد، والسؤال عن شيء من حياة الناس العامة سمعت من يذكر قصصاً محزنة بين بعض الأقارب أو أفراد الأسرة، أو القرية الواحدة الذين دخلوا في صراعات دنيوية، فجاروا على بعضهم، وقطعوا أرحامهم، وقست قلوبهم. وقد جالست بعض القضاة في مناطق عسير، والباحة، والطائف، وجازان، ونجران فأخبروني بقضايا مؤلمة بين بعض الإخوان والأخوات، أو الجيران، أو الأبناء والآباء، أو الأصدقاء وغيرهم[٣].

لم أفصل الحدث عن أعراف وعادات وتقاليد الأفراد، والأسر، والقرى التي شاهدتها من أبها إلى بيشة، فهناك الكثير من العادات المنزلية الداخلية، وعادات خارجية. وكثير من التقاليد المصاحبة للطعام والشراب، واللباس والزينة، والنزهة، والبيع والشراء، وممارسة الكثير من الحرف والصناعات، وبعض التقاليد والأعراف

---

(١) ماقاله هؤلاء الرواة لا يقتصر على سروات الحجر ومحافظة بيشة، وإنما هو سمة سائدة في أنحاء المملكة العربية السعودية، وفي المدن والحواضر الكبيرة أكثر من القرى والأرياف والبوادي. وفي العشرين عاماً الماضية جرى على حياة المرأة السعودية الكثير من التطورات والتحولات التعليمة، والإدارية، والفكرية، والثقافية، والاستقلالية. وتاريخ المرأة السعودية من خمسين عام (١٣٩٠-١٤٤١هـ/١٩٧٠-٢٠٢٠م) موضوع خصب للبحث والدراسة والتوثيق.

(٢) السعي في الدنيا طبيعة يمارسها كل البشر، والمجتمع السعودي مثل باقي البشر، لكن الأوضاع المالية والاقتصادية التي عاشتها المملكة العربية السعودية منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) أثرت في حياة الناس سلباً وإيجاباً. والإيجابيات كثيرة، لكن سلبيات التطور المالي والاقتصادي أثرت على الفرد والمجتمع السعودي وبخاصة في باب القيم والمبادئ. وهذا الموضوع بحاجة إلى دراسات علمية حيادية ونزيهة.

(٣) أتجول منذ أربعين عاماً في بلاد السروات وتهامة وأوثق صفحات من تاريخ الناس، وأسمع الكثير من الأخبار المفرحة والمحزنة. كما زرت وكتبت عن تاريخ بعض المؤسسات الإدارية في هذه البلاد، وحصلت على بعض الوثائق المتنوعة التي تعكس صوراً من حياة مجتمعات هذه الأوطان التهامية والسروية. وأقول إن تاريخها الحضاري القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر جدير بالدراسة والتحليل والتوثيق.

الرسمية، والشعبية وغيرها، وإنما أشرت إلى شيء مما سمعته، أو عرفته، أو شاهدته، وقد يأتي بعدي من يفصل الكلام في هذا التاريخ الحضاري المعاصر الذي تعيشه أجزاء من منطقة عسير[١].

## ٦- وقفة مع الفنون الشعبية، والألعاب الرياضية :

الناس في سروات الحجر ومحافظة بيشة وبلاد شهران أهل أهازيج ورقصات وفنون شعبية. وكوني من سكان هذه البلاد، وتجولت في أرجائها منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وعاصرت وشاهدت الكثير من طربهم وموروثهم الفني[٢]. واللعب في مناسبات الزواج وبعض الأفراح الأخرى. وللرجال أيضاً فنون عديدة من غناء، وشعر، ولعب، وعرضة، وقلطات، ومدقال، وزار، ومحاورات وغيرها [٣].

وللأسف إن الكثير من موروثنا الطربي والغنائي والشعبي اندثر، وكثير منه اختفى، ولم نعد نرى أعلاماً حافظين للأشعار الطويلة والقصيرة التي كانت تقال ويتغنى بها الناس في اجتماعاتهم العامة والخاصة، كما لا نجد الدعم والتشجيع لحفظ مثل ذلك الموروث الجميل[٤]. وفي السنوات الأخيرة تم استبداله بأناشيد وأهازيج وأغاني وشيلات وفنون طربية حديثة وافدة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[٥]. وإن قارنا بين الفن القديم والمعاصر، وجدنا الأول أفضل في قيمه ومبادئه وأصالته

---

(١) أكرر القول على أهمية دراسة التاريخ الحضاري لبلاد تهامة والسروات عبر أطوار التاريخ والجامعات المحلية عليها مسؤولية كبيرة لدعم وتشجيع وخدمة هذا الميدان.

(٢) حديثي عن فنون هذه البلاد ليس مقصوراً على رحلتي عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، وإنما عدت إلى الوراء حتى العقود الأخيرة من القرن الهجري الماضي، وإذا دُرست كل ناحية من النواحي التي ذكرتها في هذه الرحلة، فسوف نجد الكثير من الفنون الشعبية والأغاني والأهازيج المحلية، وكلها تصب في ميدان الفرح والبهجة التي مارسها سكان هذه البلاد خلال عصورهم التاريخية.

(٣) شاهدت منذ أربعين عاماً نساءً يمارسن الطرب واللعب في المناسبات الاجتماعية، وبعضهن شاعرات يلقين أشعارهن على فرق اللعب والفنون الشعبية في قراهن وبلداتهن. كذلك هناك شعراء محليون، بعضهم توفاهم الله، وآخرين مازالوا على قيد الحياة حتى الآن (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، وهم مبدعون في إحياء الألعاب والفنون الشعبية المختلفة، ومعظمهم يقولون كلمات الغناء والشعر وينثرونها على المشاركين في كل فن شعبي. آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الفنون الشعبية في منطقة عسير تهامة وسراة، وهو موضوع مهم وغني بموروثه الثقافي والحضاري.

(٤) من يذهب في مناكب السروات وتهامة ويجمع موروث أهلها الغنائي والطربي والشعبي القديم ثم يدرسه ويشرحه وربما يترجم بعضه ثم يصدره معرفياً وثقافياً إلى شعوب الأرض، فقد يحافظ على هذا الموروث، وأيضاً يطلع الشعوب الأخرى على شيء من تاريخ وحضارة وموروث شبه الجزيرة العربية الأصيل.

(٥) قرأت الكثير من كتب الأدب والتراث العربي القديم الذي يفصل الحديث عن حياة الطرب والغناء والفنون عند العرب والمسلمين، ووجدت بعضها من أصول عربية بحتة خرجت من شبه الجزيرة العربية، وأخرى جاءت من أجناس وعناصر أخرى غير عربية في الشام، والعراق، وبلاد فارس، وشمال إفريقيا. وما أشبه اليوم بالبارحة، حيث نرى الكثير من الفنون المستوردة من دول عربية وغربية وتلقى على أبنائنا وأهلنا الذين لا يدرك معظمهم موروثنا العربي العريق، ومن ثم فهم يرون أن ما جاءهم من فنون حديثة هي الأفضل والأجود، ولا يدركون خطورتها وسلبياتها على الأصالة الدينية والحضارية.

وعراقته، ولا يخلو أحياناً من بعض التعصب القبلي، لكنه في مجمله يبني الشخصية العربية الأصيلة التي تعتز بدينها وعروبتها وعراقتها الحضارية. أما فنون اليوم فهي لا تخلو من الموسيقى الوافدة على بلادنا، ولا تتم عن أصالة، وليس له صلة بتاريخنا وموروثنا النظيف. وإن تأملت في المقدمين لهذا الفن المعاصر، وثقافاتهم وأقوالهم ومفرداتهم فهي الأخرى دخيلة على البلاد ثقافياً وحضارياً. وأقول للقائمين على هذه الفنون المستوردة، إن آثارها السلبية أكثر من الإيجابية، ثم إن خدمتها للدين والبلاد والعباد غير نافعة، وأختم قولي بأن تراثنا الأصيل فيه ما ينفع ويفيد على المدى الطويل، لو تم صبغته بصبغة عصرية ذكية، ثم ممارسته محلياً، وتصديره إلى داخل البلاد وخارجها، ولا يمنع أن نستفيد من موروث الآخرين، والأخذ منه ما يخدمنا، ويعزز من موروثنا، مع المحافظة على ثوابتنا الدينية والعربية الأصيلة.

عرف الناس الكثير من الألعاب الرياضية القديمة، ومنها الخاص بالرجال والشباب مثل لعب كرة القماش وغيرها. وهناك ألعاب يشترك فيها النساء والرجال، وأخرى خاصة بالنساء فقط، أو الأطفال[١]. وعند ظهور المدارس النظامية صار ضمن جداولها ساعة أسبوعية يمارس فيها الشباب رياضات مختلفة، ويشرف عليهم أستاذ متخصص في التربية البدنية. وفي مدارس البنات ساعة تمارس فيها الطالبات بعض الأعمال مثل الخياطة، والطبخ، والأعمال التي تفيد المرأة في حياتها العملية والزوجية[٢].

وفي محافظات تنومة، والنماص، وبيشة وغيرها من بلاد عسير عدد من الأندية الرياضية التي تمارس بعض الألعاب، مثل: كرة القدم، وكرة الطائرة، وكرة اليد. فنادي النخيل في بيشة تأسس عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وهو نادي عريق خرج منه لاعبين مشاهير على مستوى المملكة والعالم، وفي عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٩م) تم تغيير اسمه إلى نادي بيشة الرياضي[٣]. وأنشئ نادي السروات الرياضي في النماص عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)[٤]. وهذان الناديان مازالا يمارسان نشاطاتهما المختلفة، وخدمة شباب محافظتي بيشة والنماص.

ولا تخلو محافظات تنومة، والنماص، وبيشة من أندية رياضية تجارية رجالية ونسائية يمارس فيها ألعاب القوى، والجري، والسباحة، وحمل الأثقال، وبعض التمارين السويدية. وبعض المراكز التي زرتها مثل وادي بن هشبل وبللسمر يوجد فيها مراكز رياضية استثمارية يمارس فيها بعض الرياضات.

---

(١) وثقت الكثير من هذه الرياضات في بلاد تهامة والسراة إنظر عدد من مؤلفاتي المطبوعة والمنشورة، ومنها: موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب ( عشرون مجلداً )، كتاب: عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص١٠٨-١١٨.

(٢) هذه الرياضات في جميع مدارس المملكة العربية السعودية، وهي ضمن مناهج ولوائح وزارة التعليم.

(٣) هذا ما سمعته من بعض أعلام مدينة بيشة في (١٤٤١/١٢/١٢هـ).

(٤) معاصرة الباحث للنادي ومعرفة بعض القائمين عليه حالياً (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

وفي بعض المستشفيات الحكومية أماكن لممارسة الرياضة أو ما يعرف بالعلاج التأهيلي أو الطبيعي. والذاهب في أرجاء السروات، ومحافظة بيشة يرى ملاعب مزروعة وأخرى ترابية للعب كرة القدم، أو التنس، أو اليد، وجميعها تجارية استثمارية. وضمن مرافق الحدائق والمنتزهات والوحدات السكنية والشاليهات ملاهي للأطفال، مثل المراجيح وغيرها.

وازدادت رياضة المشي للرجال والنساء، وبخاصة عندما قامت البلديات بإنشاء أماكن مخصصة للمشي بالمتنزهات والحدائق في تنومة، والنماص، وبيشة. وهناك ألعاب رياضية منزلية مثل: لعب الورقة، والشطرنج. وكثرة الألعاب الإلكترونية عند الأطفال من الذكور والإناث، ويمارسها بعض الشباب والكبار من الرجال وأحياناً النساء. وتمارس السباحة بالمسابح الموجودة في بعض الشاليهات والمنتجعات السياحية في النماص وبيشة. وربما مارس بعض الشباب السباحة في الغدران الواقعة على أودية هرجاب، وترج، وتبالة [١].

## ٧. حياة الناس مع مرض كورونا (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م):

مرض فيروس كورونا، كوفيد - ١٩ (Covid-19) وباء عالمي بدأ من الصين في نهاية عام (٢٠١٩م)، ومع مطلع عام (٢٠٢٠م) انتشر في بلدان عديدة، وكانت المملكة العربية السعودية من الدول التي وصلها هذا المرض في نهاية جمادى الآخرة عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، وسجلت في مدونة سابقة بعض التدابير والاحترازات التي اتخذتها المملكة حتى شهر شعبان عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) [٢]. واليوم الثلاثاء (١٤٤١/١٢/١٥هـ/الموافق ٤أغسطس/ ٢٠٢٠م)، أدون بعض المعلومات العامة عن هذا المرض، وبخاصة في المملكة العربية السعودية، وفي منطقة عسير تحديداً. والناظر في الإحصائيات العالمية يجد أن هذا الوباء مازال منتشراً، ويحصد الكثير من الأرواح[٣].

---

(١) هذه الأودية من روافد وادي بيشة الرئيسية، ومصبات وادي تبالة من سروات بلقرن، وشمران، وخثعم وغامد. وأعالي وادي ترج من سروات الحجر، ومنابع وادي هرجاب من بلاد قحطان.

(٢) انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب. (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) (الجزء التاسع عشر) (آخر محور في القسم السادس).

(٣) حتى اليوم الثلاثاء (٤/أغسطس/٢٠٢٠م) وصل عدد المصابين في العالم (١٨،٦٦٦،٦٤٦)، تعافى منهم (١١،٨٩٦،٦٥٠)، ومات (٧٠٢،٥٩٨) نسمة. وأكثر الدول تضرراً بعض الدول الأوربية خلال الشهور الأولى، ثم تراجعت الإصابات فيها وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية أعلى الدول التي اجتاحها الوباء فقد تجاوزت الإصابة فيها أكثر من خمسة ملايين، والمتوفون (١٦٠،١٤٥) إنسان، يليها دول غربية وشرقية مثل: الهند، وروسيا، والمكسيك، وجنوب إفريقيا. أما الدول العربية فأعلاها إصابة المملكة العربية السعودية (٢٨١،٤٥٦) فرداً، توفي منهم (٢،٩٨٤) نسمة، ودول عربية أخرى جاءت بعد المملكة مثل العراق، ومصر، وقطر، والسودان.

وواصلت المملكة العربية السعودية لمدة ثلاثة شهور الكثير من الاحترازات فعلقت عمل المؤسسات الإدارية، والمطارات، والمساجد. وفي نهاية شهر شوال سمحت بعودة المؤسسات الحكومية والأهلية إلى أعمالها، وفتحت المساجد للصلاة، واشتغلت المطارات الداخلية مع التأكيد على التباعد الاجتماعي، وغسل الأيدي باستمرار، ولبس الكمامات. وأعلنت قيام فريضة الحج للحجاج من الداخل فقط، مع إعطاء الفرصة لأكبر عدد من الجنسيات العربية والمسلمة داخل البلاد. وحتى هذا اليوم (١٤٤١/١٢/١٥هـ)، مازال الطيران الخارجي مقفولاً، والمدارس والجامعات لم يصدر عن أوضاعه شيئاً، والناس لا يدرون حتى الآن هل الدراسة سوف تكون عن بعد، أم تفتح مؤسسات التعليم العام والعالي[١].

كان لابد من المقدمات السابقة، أما حياة الناس في منطقة عسير مع مرض كورونا، فقد أشرت إلى شيء من ذلك خلال الشهور الأولى من ظهور هذا الوباء[٢]، وأثناء رحلتي الأخيرة إلى النماص وبيشة، وجلوسي في بعض المجالس، وسماعي ومشاهدتي سلوكيات الناس، وأقوالهم وتصرفاتهم، فقد خرجت بالعديد من السلبيات والإيجابيات التي عادت عليهم من هذا الوباء العالمي، وأسرد بعضها في السطور الآتية:

## أ- السلبيات:

١. التأثيرات الاقتصادية السلبية كبيرة على أهل التجارات والصناعات، وأصحاب الأعمال الحرفية، فتوقفت أعمالهم، وسرح البعض منهم العمال والموظفين الذين عندهم، وهذه المشكلة عالمية وإقليمية ومحلية، وعانى منها أهل الاقتصاد في كل مكان[٣].

٢. الخوف الذي عاشه الناس عندما سمعوا الأخبار السيئة التي قتلت الكثير من الأنفس في العالم، ووسائل الإعلام التي تتحدث عن خطورة هذا المرض وشدة فتكه بمن يصيب، وسرعة انتقاله باللمس أو التنفس، وهذا مما جعل الناس يخافون من بعضهم، حتى القريب مع قريبه أو الوالدين مع أبنائهم وبناتهم، فالكل أصبح مرعوباً من السلام والمصافحة للغير مهما كانت القرابة والصلة بينهم. وزاد الحرص والحذر عند الجميع فصاروا يواظبون على

---

(١) وسائل التواصل الاجتماعي تخوض في الأقوال والروايات حول الطيران الخارجي، وأوضاع المدارس والجامعات، ولم يصدر أي بيان رسمي بشأنها حتى الآن، ومن المؤكد أن يصدر قرار عن الدراسة لأن فتحها حسب التاريخ المحدد مسبقاً في نهاية شهر ذي الحجة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٢) انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (ج١٩) (القسم السادس).

(٣) التأثيرات السلبية الاقتصادية في منطقة عسير أو بلاد السراة وتهامة أثناء مرض كورونا عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

لبس الكمامات، والقفازات، والتباعد الاجتماعي، وغسل الأيدي بالصابون والمطهرات والماء، واستخدام المعقمات، وقد تضرر البعض صحياً من لبس الكمامات وبخاصة الذين يعانوا من الربو وأمراض الصدر، ومن المطهرات لمن لديهم حساسية للجلد. كما أصاب البعض من الرجال والأطفال والنساء أمراض نفسية من الحجر الذي فرض عليهم لعدة شهور، ومن الخوف المنتشر في المجتمعات[١].

٣. تأثر الناس في أسفارهم وقضاء حوائجهم داخل المملكة العربية السعودية وخارجها وتقلصت الأنشطة الرياضية لمن تعود ممارسة الرياضة باستمرار، أو من يمارسها لظروف وإرشادات طبية. وتأثر الطالبات والطلاب في مدارسهم وجامعاتهم، وخسروا مكاسب ومعارف كثيرة، وأحياناً ظهرت بعض المشاكل الأسرية داخل المنزل من الفراغ وعدم الحركة للشباب، أو الرجال الذين تعودوا على الحركة المستمرة. كما ارتفعت أسعار بعض المواد الطبية مثل: الكمامات، والقفازات، والمطهرات والمعقمات، وأصبحت الصيدليات ومراكز بيع هذه المواد تبالغ في أسعارها حتى تضاعفت إلى عشر مرات.

٤. نجد أن أهل الأرياف والقرى في بلاد السروات وأجزاء من منطقة عسير لم يلتزموا بالاحترازات التي نادت بها الدولة، فتراهم يتجمعون في المناسبات ومجالس السمر واللقاءات ومن ثم انتشر المرض بين بعضهم فماتوا، أو عانوا من المرض لأسابيع وربما لشهور. وعندما تتحدث، وتسألهم لماذا لم يحتاطوا ويحترزوا ؟ فيقولون الأمر لله من قبل وبعد، ولن يموت الإنسان إلا من أجله، وهذا الإهمال جعلهم يقعون فريسة لهذا المرض الفتاك.

٥. تأثر الناس في عاداتهم التي عاشوا عليها مثل زيارة المرضى، والصلوات المفروضة في المساجد [٢]، والتجمع في المآتم ( العزاء )، وغسل الأموات ودفنهم. وكل هذه التغيرات في حياتهم سببت حزناً وقلقاً وخوفاً لدى الكثير من الناس وبخاصة كبار وكبيرات السن.

---

(١) الآثار النفسية والصحية التي نجمت عن مرض كورونا في مناطق عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية من الموضوعات المهمة الجديرة بالبحث والدراسة.

(٢) من يذهب إلى المساجد حتى الآن (١٤٤١/١٢/١٥هـ) للصلوات المفروضة، أو يوم الجمعة فعليه أن يحمل معه سجادة للصلاة، ويقف في صلاته بعيداً عن مجاوريه بمتر ونصف أو مترين، وذلك حسب توجيهات الدولة، والخوف من انتشار العدوى بين الناس.

## ب. الإيجابيات :

١. هـذه الجائحة فيروس كورونا زادت من الـوازع الديني عند بعض الناس كباراً وصغاراً، فالبعض منهم بدأ يصوم الإثنين والخميس، والأيام البيض، وآخرين تسمعهم يرددون الدعاء واللطف بالعباد، وهناك من يبذل ويتصدق. ولاحظت في بعض القرى والمحافظات أفراداً اجتمعوا، واتفقوا على التطوع وخدمة الفقراء والمحتاجين والمرضى ومساعدتهم في إيصال الأطعمة والأشربة والأدوية إليهم [١].

٢. هذا المرضى قلص الإسراف والمباهاة والمبالغات في الزواجات وبعض الاحتفالات الاجتماعية، وشاهدت بعض الشباب الذين تزوجوا خلال مرض كورونا فلم ينفقوا أموالاً كثيرة في ولائم الزواج، ولم يكن هناك احتفال في الصالات والقاعات التجارية، ولم تدفع أموال كثيرة في الأسفار الخارجية والمناسبات الأخرى كانت بسيطة في استعداداتها، وتكاليفها المالية، والولائم وإعداد الذبائح وغيرها[٢].

٣. استغلال الكثير من الرجال والنساء من أوقاتهم أثناء الحجر، فمارسوا مهناً عديدة مثل القراءة، والرسم، وكتابة القصص والأشعار. كما عادوا إلى بعض الألعاب الرياضية القديمة مثل: لعب الورقة، أو بعض الألعاب التي تعتمد على الذكاء، أو العضلات، أو التركيز، أو التذكر، أو سرعة الأداء وغيرها. وعملت بعض النساء على تعلم الطبخ، وترتيب المنزل، بدلاً من الخادمات اللاتي يقمن بهذه الأعمال.

٤. اعتمد الأفراد (ذكوراً وإناثاً) على أنفسهم في القيام ببعض الأعمال الخاصة. فالرجال صاروا يحلقون رؤوسهم بأنفسهم ويزينون لحاهم وشواربهم بدلاً من أماكن الحلاقة. والنساء قمن بخدمة أنفسهن من تصفيف الشعر، وتنظيف البشرة، وتزيين الوجه، أو ما يحتاج إلى تنظيف وتجميل في الجسد.

٥. زادت وتيرة التنظيف عند الأفراد، فصار كل واحد يحرص على غسل الأيدي وتعقيمها. كما اهتمت البلديات بتنظيف الشوارع والأماكن العامة وتعقيمها. وحرص أصحاب المطاعم والأسواق والمهن والتجارات على تعقيم وتنظيف

---

(١) شاهدت هذه الظاهرة في مناطق عديدة من السروات وتهامة والدولة تشجع وتدعم ذلك، كما أن بعض المقتدرين والتجار بادروا بالدعم المالي والمعنوي.

(٢) حبذا أن يستفيد الناس من هذه الظروف التي مرت بهم أثناء مرض كورونا فلا يسرفوا في أفراحهم وولائمهم، ويحرصون على الاقتصاد في جميع أمور حياتهم.

أماكنهم، وأدوات أعمالهم. وارتفعت نسبة الوعي الصحي عند الناس في داخل المنازل وخارجها [١].

٦. ارتفعت نسبة التعليم التقني في المؤسسات الرسمية والأهلية، وعند الأسر والأفراد. وزاد التعامل في الحياة عن بعد من خلال وسائل التقنية المختلفة. وسوف تزداد أهمية هذا التعليم والتدريب على مستوى الدول، والمجتمعات والأفراد.

٧. خلق مرض كورونا فرص عمل لبعض الشباب الذين عملوا في خدمة توصيل الطلبات إلى المنازل، سواءً كانت أطعمة أو أشربة من المطاعم، أو الأسواق التجارية، أو أدوية ومواد طبية من الصيدليات وغيرها من الأغراض التي احتاجتها الأسر أو الأفراد أثناء الحجر الصحي لبضعة شهور.

## رابعاً: الحياة الاقتصادية :

### ١. الجمع والالتقاط، والصيد، والرعي :

أصبح الجمع والالتقاط نادراً، وإن بقي بعض الريفيين والمزارعين الذين يجمعون الحطب، ويعرضونه في الأسواق اليومية والشعبية للبيع. وهناك من يحرق الحطب ويستخرج منه الفحم للتجارة. كما تلتقط الفواكه كالعنب، والمشمش، والمانجو، والطماطم، والبطاطس، وغيرها، وبعض الخضروات كالخس، والجرجير، والنعناع، والحبق والبقدونس وتعرض للتجارة. وشاهدت الكثير من هذه السلع في أسواق بللسمر، وتنومة، والنماص، ومراكز وادي ترج، وبيشة، ووادي ابن هشبل [٢].

و لاحظت بعض الشحاذين المتجولين (نساء ورجالاً ) وهم ينتقلون في بعض المدن، وعلى أبواب المسجد والأسواق وأحياناً على أطراف السكك، ويدخلون ضمن مهنة الجمع والالتقاط، فهم يحرصون على تجميع أكبر قدر ممكن من الأموال عن طريق استعطاف الناس، والظهور بمظهر الفقراء والمساكين. وقد يكون بعضهم كذلك، لكن هناك من يمارس أساليب الخداع والمسكنة حتى يجني بعض المال من عامة الناس[٣].

---

(١) هذه الجائحة ( مرض كورونا ) خلقت متغيرات كثيرة في المجتمع، وسوف يكون لها آثار إيجابية وأخرى سلبية خلال السنوات القادمة.

(٢) إن الذاهب في أرجاء السروات وتهامة يجد الأسواق مليئة بهذه التجارات وبخاصة الفواكه والخضروات المحلية. ويقوم على زراعتها والمتاجرة فيها عمالة وافدة، تأخذ الأراضي من أصحابها وتقوم على زراعتها مقابل خدمات أو مبالغ مالية تدفع للملاك. ومنهم من يجلب عماله للزراعة مقابل رواتب شهرية، لكن هذا النوع من الأعمال قليلة.

(٣) ظاهرة التسول قديمة منذ عصور الإسلام المبكرة والوسيطة ومازالت قائمة حتى اليوم، ولها ذكر في كتب التراث. وكل زمان له أساليبه وأنماطه في الشحاذة والتسول. كما أن الجمع والالتقاط حالة اجتماعية

والصيد مهنة معروفة في جبال السروات، ومنحدراتها الشرقية والغربية. وعاصرت في بدايات هذا القرن الكثير من الصيادين الذين يصيدون الأرانب، والغزلان، والوبران، والحمام، وبعض الطيور الأخرى، وكانت من الأطعمة التي يعتمد عليها بعض الريفيين والقرويين. وهناك صيادون مهرة يقنصون السباع والوحوش المفترسة مثل: النمر، والأسد، والضبع، والذئب، والثعالب، والنيص، والثعابين، والحيات. وكل هذه المخلوقات كانت موجودة بكثرة في محافظات تنومة، والنماص، وبيشة وما حولها، ومع النمو والتمدن الذي ساد البلاد خلال الثلاثين عاماً الماضية انقرض الكثير منها، وصار بعضها معزولاً في الجبال والهضاب والأودية الوعرة. وروافد وادي بيشة مثل أودية تبالة، وترج، وهرجاب مازالت تعيش فيها بعضاً من هذه الكائنات الحية وبخاصة الذئاب، والثعالب، والقرود ،وربما النمر، وبعض الزواحف الصغيرة والكبيرة[1].

مازال بعض الرجال والشباب يمارسون الصيد وأخبرني بعض الرواة في وادي ترج أن هناك صيادين يمارسون صيد الحجل، والأرانب، والقهايا، والحمام، وذلك للتسلية، وليس للحاجة، لكن ممارسة الصيد اليوم قلت كثيراً، وصارت الدولة تعاقب من يمارس هذه المهنة حفاظاً على الكائنات الحية، والحياة الفطرية. وذكر لي رواة آخرون في محافظات بيشة، والنماص، وتنومة بأن مهنة الصيد في بلادهم أصبحت نادرة، وربما مارسها قلة من الرجال في سفوح السروات الشرقية أو الغربية[2].

## ٢- الزراعة :

الذاهب في البلاد الممتدة من أبها إلى النماص ثم بيشة فخميس مشيط بجميع مراكزها يشاهد أراضي زراعية شاسعة. فالغالب على هذه الأوطان أنها مراكز

---

واقتصادية معروفة عند سكان شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام، وبقيت إلى عصر قريب تمارس بشكل كبير عند البدو وسكان الأرياف والفقراء والمساكين الذين يسعون إلى جمع أقواتهم من الثمار الجبلية، أو من المحاصيل والمزروعات وغيرها.

(١) عشت في منطقة عسير منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وشاهدت الكثير من هذه السباع والطيور والزواحف. بل إن البعض من سكان تهامة والسراة فقدوا حياتهم بسبب بعض السباع التي أكلتهم، أوالثعابين والعقارب والحيات التي قضت عليهم. وأثناء رحلتي إلى النماص وبيشة، ورحلات أخرى سابقة في بعض مناطق تهامة والسراة سمعت من يقول: " إن بعض السباع والحوش المفترسة، والزواحف السامة مازالت تعيش في بعض المنحدرات الشرقية والغربية لجبال السراة، وصارت نادرة الوجود في المدن والحواضر الرئيسية. والتوسع العمراني، والتمدن الحضاري من الأسباب الرئيسية التي قضت على كثير منها، أو جعلت الباقي منها يهرب ويختفي في المناطق النائية والوعرة ".

(٢) زرت معظم بلاد تهامة والسروات خلال العقود الأربعة الماضية، وشاهدت وسمعت كيف كانت مهنة الصيد نشطة إلى بداية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) ثم ضعفت واختفت تدريجياً في المدن والحواضر. ومازال هناك من يقتني أدوات الصيد مثل بعض البنادق، وآلات أخرى للصيد البري والبحري. واستخدمت الصقور أحياناً في ممارسة الصيد، ومازال هناك من يمارس هذه المهنة في بعض مناطق جازان، ونجران وأجزاء من السروات.

اسـتيطان قديمة جمعت بين حياة البداوة والحضـارة. فالسروات من أبها إلى النماص أراضـي زراعية متمدنة منذ عصور ما قبل الإسلام، وسـفوح السراة الشرقية من أبها وخميس مشـيط إلى النماص وبيشة أراضـي بدوية لكنها لا تخلو من مزارع عديدة على ضـفاف الأودية التي تنحدر من السروات تجاه الشرق. أما سهول بيشة وخميس مشيط وما حولها فهي أراضي زراعية بامتياز[١].

مـن يدرس تاريخ المـزارع وأنواعهـا، وطرق الزراعة ومحاصـيلها خـلال القرون الهجرية المتأخرة الماضـية حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). فإنه يجد تفصيلات كثيرة عن نشـاط الحياة الزراعية في سـروات منطقة عسـير. بل كانت المهنة الرئيسية التي تقوم عليها حياة الناس[٢]. ونشاهد اليوم جميع القرى في حاضرة أبها، ومحافظات تنومة، والنماص، وبلاد بلقرن، وبيشـة، وخميس مشـيط وهي تقع في وسط أو قريباً من الأملاك الزراعية التي يملكها أصحابها عن طريق الوراثة من الآباء والأجداد[٣].

نجـد أن كل أرض زراعيـة في قرية أو ناحية معروفة باسـم معين، وسـكان القرية الواحـدة يعرفون مالك كل مزرعة. وكل المزارع متجاورة لأفراد القرية، ومصـادر ريها من الآبار الجوفية، وهناك مزارع تعتمد في سقياها على مياه الأمطار، وأحياناً على مياه الأودية. والناس منذ القدم متعاونون متكاتفون في حراثة أراضـيهم وزراعتها، وحصـد ثمارهـم وتخزينها. وكانت جميع موادهـم الزراعية بدائية فهم يعتمـدون على الأبقار والجمال في الحراثة والسقيا. وكل المواد التي يستخدمونها للزرع والحراثة محلية، ومن صـنع أنفسهم، ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) دعمت الدولة الزراعة والمزارعين فوفـرت لهم بعض الآلات كالحراثات، والحصـادات، ومواتير رفع المياه، وسـاعدتهم ببعض القروض المادية الميسرة لخدمة مزارعهم وتطويرها[٤].

---

(١) هذا ما عرفته وشـاهدته منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذكرت ذلك العديد من كتب الرحالة خلال القرنين(١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م) وهناك آلاف الوثائق غير المنشورة فصلت الحديث عن الأراضي الزراعية في هذه البلاد، ومسمياتها، وملاكها وحدودها، وأنواع محاصيلها، ومصادر مياهها.

(٢) هنـاك الكثـير من الوثائق الجديرة بالدراسـة وجميعها تعكس صـفحات من تاريـخ الزراعة خلال القرون الماضية. كما ظهر مؤخرا بعض البحوث والكتب التي أشارت إلى شيء من هذا التاريخ، وهناك بعض الرواة والمعمريـن الذيـن مازالـوا على قيد الحياة وعاصـروا نشـاط الزراعة في بلادهم وما حولهـا خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) كل الأراضـي الزراعيـة في هذه البلاد تخص أهلها في القـرى والقبائل التي تقع فيها، وهي مملوكة من قبل أصحابها منذ مئات السنين توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد.

(٤) تاريـخ الزراعة في منطقة عسـير، أو مناطق جنوب المملكة العربية السـعودية ( الطائف، الباحة، القنفذة، عسـير، جـازان، نجران ) موضـوعات جديدة لم تدرس دراسـة علمية موثقة، آمل أن نـرى باحثين جادين يقومون على دراسة وتوثيق هذا الميدان الحضاري المهم.

اطلعت على لفيف من الوثائق عند بعض الأسر في محافظات أبها، وخميس مشيط، وبيشة، والنماص وبلقرن. ورأيت بعض السجلات في محاكم هذه المحافظات ومكاتبها الزراعية فتأكد لي بعض الأمور التي أذكرها في النقاط الآتية:

١. ثراء هذه الوثائق والسجلات والأوراق بالمادة العلمية الجديدة التي تخدم البحث العلمي في دراسة تاريخ الحياة الزراعية في هذه البلاد. كما أنها تعكس الكثير من المفردات اللغوية التي تفيد أساتذة اللغة في التطور اللغوي والاصطلاحي للكثير من الكلمات والعبارات الزراعية منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م).

٢. عدم الاهتمام بهذا الموروث الحضاري، فالقائمون على أراشيف هذه الوثائق يقومون بأعمالهم الإدارية والخدمية المعنيين بها، لكنهم لا يدركون أهميتها التاريخية والحضارية، فهي تعكس صفحة مشرقة من صفحات تاريخ الناس في هذه البلاد خلال العصر الحديث والمعاصر[١].

٣. ظهر لي في هذه المصادر التاريخية الكثير من الخلافات الفردية والأسرية وأحياناً القبلية على حدود المزارع بين المتجاورين من أصحابها، أو على موارد المياه، أو على الأحقية في ملكية الأرض أو الأراضي المتنازع عليها. كما تبين أن الكثير من تلك الصراعات بين الأقارب، أو من يرتبطون في جد واحد، أو من الجيران في القرية أو الناحية الواحدة. وبعضاً من القضايا في تلك الموضوعات تستمر دعواها في المحاكم وغيرها من المؤسسات الإدارية سنوات عديدة[٢].

لن أسهب الحديث عن الزراعة قديماً من حيث أنواع أراضيها وملاكها، أو طرق الزراعة وريها، أو أنواع المحاصيل الزراعية، أو معوقات الزراعة والمزارعين، ففي ذلك العديد من البحوث والدراسات المطبوعة، وبعضها مطبوع ومنشور[٣]. وإنما أقصر

---

(١) زرت هذه المؤسسات الإدارية والقضائية في فترات متباعدة خلال السنوات الخمس الماضية (١٤٣٦-١٤٤١هـ / ٢٠١٥-٢٠٢٠م). كما زرت مؤسسات إدارية أخرى في بلاد تهامة والسراة خلال العشرين سنة الماضية. ورأيت وفرة الوثائق التاريخية في أراشيفها، لكنها غير مرتبة، وفي وضع مهلهل، وقد تتلف ويضيع أكثرها مع مرور الزمن. ووجدت بعضها يعود إلى أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكثير منها تتراوح تواريخها من الثمانينيات في القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

(٢) الصراعات على مواطن الاستيطان أو المزارع بين الأسر والأقارب والجيران وأبناء القرية، أو القبيلة الواحدة، أو القبائل المتجاورة ليس وليد الساعة، فكتب التاريخ والأدب وغيرها من مصادر التراث مليئة بهذا النوع من الاختلافات قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المختلفة.

(٣) انظر غيثان بن جريس. عسير ١١٠٠-١٤٠٠ (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ١٢٩-١٤٦. انظر بعض الموضوعات والوثائق المنشورة في (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (عشرون مجلداً) (الطبعة الثانية) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

حديثـي على أوضـاع الزراعة والمزروعات أثنـاء رحلتي من أبها إلى النماص ثم بيشـة فأجزاء من محافظة خميس مشيط في الفترة من (١٠-١٣/١٢/١٤٤١هـ).

عنـد ذهابـي في هذه البـلاد المذكورة أعـلاه شـاهدت معظم الأراضـي الزراعية مهجورة وبخاصـة في الأراضـي الممتدة من أبها إلى النماص. وهناك زراعات محدودة وجل مزروعاتها الطماطم، والبطاطس، والخس والجرجير، وبعض الفواكه مثل العنب، والتفاح والخوخ، والمشـمش، والكمثرى. وفي بعض بلاد بللسـمر وأجزاء من بني شـهر وبنـي عمرو زراعـة بعض الحبوب مثـل : البر [١]. والشـعير، والذرة أحيانـا. وكل هذه المحاصـيل بجهود فردية من بعض الأفراد والأسـر الذين يوظفون عمالة وافدة لرعاية هـذه المزارع. ولا تقـارن زراعات هذه البلاد في وقتنا الحاضـر (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) مع الكثافة الزراعية التي كانت تعيشها البلاد خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) والسنوات الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٢].

والزراعة من سـروات النماص إلى بيشـة عبر وادي ترج مليئـة إلى حد ما بزراعة التمور وبعض الفواكه والخضـروات. وقد توقفت في بعض مراكز وادي ترج ( البهيم)، والقوبـاء، ومهـر، والحازمي، وشـاهدت بعض مزارع النخيل الواسـعة، وسـألت بعض أصـحابها فقالوا: " إن التمور أهم مزروعاتهم، بالإضـافة إلى الفواكه من الخضروات مثـل: الطماطم، والجرجير، والنعنـاع وغيرها..." [٣]. وزراعة الحبـوب قليلة في وادي ترج. وحاضرة بيشة ومراكزها الأخرى تشتهر بزراعة التمور وبخاصة الصفرى، وفواكه وخضروات عديدة[٤]. والظاهر على بعض مزارع النخيل في بيشة أنه أصاب الكثير منها الجفاف والاندثار، وشاهدت مزارع كثيرة أصبحت مهجورة، وأشجار النخيل فيها تالفة لا فائدة منها[٥]. والزراعة من بيشـة إلى خيبر الجنوب ووادي ابن هشـبل قليلة جداً، وتكاد تكون معدومة. مع أنها بلاد غنية بتربتها الزراعية وتقع على روافد وادي هرجاب وبعض روافد وادي بيشة الأخرى.

---

(١) منذ أعوام نرى سكان بللسـمر يقيمون في الصـيف (مهرجان البر)، ويعرض فيه أصـناف من بر البلاد الذي يزرع محلياً، ويصـدر أحيانا إلى الأسواق المحلية، وهذا عمل جيد يدعم ويشجع الزراعة، لكن الحياة الزراعية بشكل عام في سروات عسير وغيرها تراجعت كثيراً عما كان عليه الناس في العهود السابقة.

(٢) أدون هذه المعلومات، وأعرف مصـداقيتها، لأنني ابن هذه البلاد ولدت وعشـت فيها منذ نهاية السبعينيات في القرن الهجري الماضـي حتى وقتنا الحاضر(١٤٤١هـ/٢٠٢٠م). وعملت في الزراعة ورأيت الثراء الذي كانـت تتميز بـه عندما كانت المهنة الرئيسـية لأهل البلاد، وبعد نمو البلاد وانتشـار التعليـم وزيادة المال والوظائف الحكومية والأهلية ترك أهل البلاد الزراعة، واهتموا بحرف ومهن ووظائف أخرى.

(٣) مقابلة الباحث مع عدد من رجال وادي ترج في (١١/١٢/١٤٤١هـ).

(٤) مشاهدات الباحث وجولته في بيشة في (١٢/١٢/١٤٤١هـ).

(٥) المرجع نفسه.

والغالب على الأراضي في حاضرة بيشة، وأجزاء من مراكز وادي ترج، والبلاد الواقعة بين وادي ابن هشبل وبيشة أنه أصابها بعض الأذى والتجريف من الإنسان، وتم تحويل الكثير منها إلى مخططات عمرانية، فشقت الطرق فيها، وقامت فيها مناشط عمرانية متعددة اثرت على البيئة والغطاء النباتي، ناهيك عن الأرض الصالحة للزراعة فقد أصابها الكثير من الخراب والإهمال[١].

## ٣. الحرف والصناعات:

اعتماد الناس قديماً على أنفسهم في حرفهم وصناعاتهم. فكل أدوات الزراعة، والطبخ، والدباغة والخرازة، والخياطة والصباغة، والبناء، والحلاقة، والحجامة وغيرها من عمل أهل البلاد. فالأب والأم يقومان بمعظم الصناعات والحرف التي تخص أفراد أسرتهم من الأبناء والبنات والأحفاد. وهناك بعض المهرة في كل قرية، أو في القرى المتجاورة يقومون بصناعة بعض الأدوات الخشبية، أو الحديدية، أو الحجرية والطينية، أو الجلدية، أو القماشية والمنسوجات. أو يمارسون حرفة بناء المنازل وتشييدها، أو حفر الآبار، أو الحلاقة، أو ذبح الذبائح وسلخها وأحياناً طبخها. وكثير منهم يقدمون هذه الخدمات لأهل قراهم من باب التعاون والمساعدة، ومنهم من يأخذ أجوراً بسيطة مقابل الحرفة أو الصناعة التي أنجزها[٢].

الحديث عن الصناعات والحرف القديمة ليست مجال حديثي في هذه الورقات، فهي جزء من تاريخنا الحضاري المحلي، أرجو من طالباتنا وطلابنا في برامج الدراسات العليا بجامعاتنا المحلية، كما أرجو من كليات وأقسام هذه المؤسسات التعليمية العالية أن تدعم وتشجع دراسة وتوثيق مثل هذا الموروث الحضاري [٣].

كما شاهدت في هذه البلاد التي ارتحلت فيها أشياء قليلة من الصناعات القديمة بقالب حديث، وهي معروضة في الدكاكين الصغيرة، أو المحلات التجارية الكبيرة، أو في

---

(١) هذه المشكلة ليست مقصورة على البلاد المذكورة أعلاه وإنما عموم أوطان السراة وتهامة اعتدى عليها الإنسان، فدمر غطاءها النباتي، وحول الكثير من أراضيها الزراعية إلى مدن ومخططات عمرانية، ومن ثم تحولت تربتها إلى أراض رملية.

(٢) عاصرت تلك الحياة في أجزاء من منطقة عسير منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت حياة جميلة يسودها الحب والرحمة والتكافل. ومن يزور بعض المتاحف الشعبية في مدينة أبها، ومحافظات تنومة، والنماص، وبيشة فإنه يقف على الكثير من المواد التراثية القديمة التي صنعها الآباء والأجداد في هذه البلاد. ويظهر على الكثير منها دقة الصنعة وجمالها. كما أن الإخوة الذين أسسوا هذه المتاحف الشعبية الخاصة يذكرون فيشكرون لأنهم حفظوا صفحات من تاريخنا وموروثنا الحضاري، وللأسف فهم لا يجدون الرعاية والدعم، أرجو من إمارات المناطق، ومن وزارة الثقافة،وهيئة السياحة أن يدعموا هؤلاء الرجال الذين بذلوا من وقتهم ومالهم لحفظ هذا الموروث العربي الأصيل.

(٣) للمزيد انظر غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٤٧-١٦٢.

بعض الأسواق الأسبوعية. وليس عليها إقبال كبير، فالذي يشتريها بعض كبيرات وكبار السن، أو بعض السياح والزوار [١].

وكل الحرف والصناعات التي يتعامل معها الناس اليوم حديثة، وصار لها دكاكين وأسواق متعددة. فالذاهب من أبها إلى النماص ثم بيشة فخميس مشيط يشاهد على قارعة الطرق الرئيسية ورشاً صناعية متفاوتة في الصغر والكبر وفي نوع الخدمة، وأكثرها ورش السيارات من إصلاح بناشر، وتغيير زيوت، إلى أعمال الميكانيكا، والسمكرة، والكهرباء وغيرها. وهناك مدن صناعية كبيرة في بيشة، وفي خميس مشيط بعد مركز وادي ابن هشبل للمتجه إلى مدينة أبها. وفيها مئات المحلات ويعمل فيها آلاف البشر، ومعظم عملها خدمة السيارات، والآلات والمحركات الأخرى الصغيرة والكبيرة. وقد تجولت في هذه المدن فوجدتها مكتظة بالآلات المختلفة، ومليئة بالأدوات وقطع الغيار القديمة والجديدة، والعاملون فيها من جنسيات عربية وغير عربية وفدت إلى المملكة العربية السعودية للعمل وكسب الرزق[٢].

والبلاد مليئة بالصناعات الخشبية المتمثلة في المناجر المتناثرة في كل مكان، وإصلاح الآلات الكهربائية والتقنية مثل: السيارات، والتلفزيونات، والجوالات، والساعات. وصناعات وصيانة الزجاج، والبلاستيك، ومعادن الذهب والفضة والنحاس وغيرها. ولا تخلو ناحية من المحافظات والمراكز التي مررت عليها من هذه الصناعات المتنوعة.

والحرف الحديثة لا تقارن مع القديمة، ففي الماضي كانت قليلة ومحدودة النطاق وتداولها في القرية أو القرى المتقاربة[٣]. أما اليوم فزادت الكثافة السكانية، وكثرت الأعمال، وتقاربت البلدان، وعُمرت ورصفت الطرق، وتوفرت المواصلات بجميع أنواعها وأحجامها. وأصبح هناك حرف ومهن كثيرة، مثل: البناء، والسباكة، والكهرباء، ونقل

---

(١) بعض الصناعات خشبية تستخدم للطعام والشراب، وهي مصنوعة من الحجر، أو الطين ( الفخار)، أو الخشب. وهناك ملابس وأنسجة وأثاث مصنوع من الأقمشة، أو الخوص. وبعض الأدوات من المعدن مثل الفضة أو الحديد. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الحرف والصناعات القديمة مع ذكر مراحل تطورها ثم تراجع استخدامها، واندثار كثير منها. وإن عمل معجم لغوي لأسمائها وطرق استخدامها فذلك أفضل وأحسن.

(٢) جميع الصناعات الحديثة وأدواتها مستوردة من بلدان عديدة في العالم، بخلاف الصناعات القديمة فجل موادها الأولية محلية. كما أن الأيدي العاملة في كل الصناعات وكثير من الحرف الحديثة من جنسيات عديدة في العالم. والسعوديون الذين يعملون في هذه المهن والصناعات قليلون جداً، وكثير من المحلات الصناعية لا وجود لهم، اللهم إلا التجار ملاك هذه المحلات. فهم من جنسية سعودية، وأحياناً يكون بالاسم فقط، والعمل الفعلي والمال والإشراف لأشخاص وافدين من خارج البلاد، ومتسترين تحت أسماء سعودية مقابل دفع مبالغ مالية لمن حماه وتستر عليه أمام الأنظمة واللوائح الرسمية.

(٣) الحياة قديماً متواضعة في كل شيء والفرد والأسرة يعملون في نطاق قريتهم وحدود عشائرهم لا يملكون المال الوفير، أو وسائل المواصلات الكثيرة والمربحة. ومعظم مهنهم وحرفهم محدودة في نطاق الزراعة، والرعي، والجمع والالتقاط، وقليل من يعمل في التجارة أو الصناعات اليدوية.

المياه، والبضائع، والمسافرين. وصار هناك من يمارس البيع والشراء بالجملة والمفرق، وفي المحلات التجارية الصغيرة والكبيرة. وحرفيون يمارسون خياطة الملابس للنساء والرجال. وحلاقون للرجال، ومشاغل نسائية لخدمة المرأة كتصفيف الشعر والعناية بالبشرة والزينة وبخاصة في مناسبات الزواج وغيرها من الاحتفالات الاجتماعية النسائية. والعمل في المطاعم، والبوفيهات، أو صناعة الحلويات، أو الأكلات الشعبية وعرضها للبيع والشراء[١]. رأيت الكثير من هذه المهن على جانبي الطريق الرئيسي الممتد من أبها إلى النماص وبيشة. وتتوفر بشكل كبير داخل المدن والمراكز الحضارية. والعاملون في هذه الحرف من العمال الوافدين من بلدان خارجية مثل: الهنود، والباكستانيين، والبنجاليين، وبعض العرب من دول عربية عديدة. ومؤخراً صار يعمل بعض السعوديين والسعوديات في وظائف بالمحلات التجارية والتقنية، أو في بعض المستشفيات والمستوصفات الأهلية، أو المؤسسات الخدمية في مجالات عديدة[٢].

## ٤. التجارة:

تقدمت اليوم التجارة على غيرها من المهن، بعكس الماضي فكانت مقصورة على أفراد وأحياناً أسر قليلة[٣]. والذاهب في أرجاء السراة من أبها إلى محافظتي النماص وبلقرن ثم بيشة يلحظ كل الأعمال والحرف والصناعات على الطرق الرئيسية، وداخل المدن والمراكز التي تقوم على الكسب والتجارة. وصار معظم الناس الذين يملكون أراضي على جانبي الطرق الحيوية، أو داخل المدن والأحياء السكنية، أو في الأسواق الأسبوعية واليومية أو قريب منها يستثمرونها بالتأجير على من يستطيع إقامة مشارع تجارية أو حرفية وصناعية.

---

(١) انتشر مؤخراً ما يعرف باسم ( الأسر المنتجة ) التي تجد الدعم والتشجيع من الدولة. وتعمل على إنتاج مصنوعات محلية، مثل الأطعمة الشعبية، أو بعض الألبسة التي تحاكي شيئا من تراث البلاد، ومواد تراثية مصنوعة من الفخار، أو الخصف، أو القماش، أو الخشب. وتقام لهذه الأسر مهرجانات لعرض مصنوعاتها. ونرى على بعض الطرقات نساء وشباب يبيعون بعض الأطعمة المحلية المعدة في المنازل، وتعرض للبيع. والعاملون في الأسر المنتجة من النساء والشابات والشباب السعوديين الذين يسعون إلى كسب أرزاقهم من هذه الحرف والمصنوعات اليدوية.

(٢) التاريخ الصناعي والحرفي الحديث والمعاصر في منطقة عسير، أو عموم السروات وتهامة من الموضوعات المهمة التي تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية، آمل أن نرى الأقسام الأكاديمية في الجامعات المحلية تدعم وتشجع طالبات وطلاب الدراسات العليا لدارسة مثل هذا الميدان المهم.

(٣) شاهدت في العقود الماضية المتأخرة بعض الأفراد أو الأسر في بلاد بللسمر، وتنومة، والنماص، وبيشة وهم يمارسون تجارات محدودة مثل البيع والشراء في المواشي والحيوانات، أو المحاصيل الزراعية، أو بضائع مختلفة يجلبونها من حواضر الحجاز وموانئ البحر الأحمر، وأحيانا تصدر من خارج البلاد إلى حواضر المملكة العربية السعودية الكبيرة ثم ترسل إلى المدن والقرى الصغيرة.

ورأيت الكثير من الدكاكين والمحلات التجارية في اثنين بللسمر، ومدينة تنومة، وحاضرة النماص، وبعض المراكز الإدارية في وادي ترج، وفي حاضرة بيشة، وخيبر الجنوب،ووادي ابن هشبل. وتتفاوت أحجامها، وأنواعها، ومساحاتها من مكان لآخر، ففي مدينتي بيشة والنماص توجد أسواق كبيرة، تتولى الإشراف عليها شركات عالمية وإقليمية [1]. ولا تخلو قرى وأحياء هاتين المحافظتين من محلات صغيرة ومتوسطة. وكل أسواقها يومية تعمل طوال النهار والساعات الأولى من الليل. وهناك أسواق أسبوعية تنشط في يوم محدد خلال الأسبوع، ثم تعمل بشكل خفيف أو متوسط بقية أيام الأسبوع.

كانت الأسواق الأسبوعية قديماً هي عماد التجارة في هذه البلاد التي تجولت فيها، ووقفت على عدد منها في صبح بللحمر، واثنين بللسمر، وسبت ابن العريف في تنومة، واثنين الظهارة، والثلاثاء في النماص، وسوق العرق في بلاد آل وليد وآل ليلح، وسوق الجمعة في الغرة، والقوباء، وسوقي الخميس والإثنين في البهيم، والأحد في مهر، وأسواق الحازمي، ونمران، والروشن في بيشة، وخرجت بالعديد من الخلاصات التي أسردها في النقاط الآتية :

١. لم أقف على كل الأسواق الأسبوعية في البلاد الممتدة من أبها إلى النماص، ثم وادي ترج وبيشة، وخيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل، أو المراكز الأخرى في محافظة خميس مشيط، وإنما وقفت على ما ذكرت أعلاه، مع أنني قرأت الكثير من التفصيلات عن معظم الأسواق القديمة في هذه البلاد الآنف ذكرها، وزرت بعضها في رحلات سابقة. ومعظمها اندثرت أوخف ارتيادها في أيامها المحدودة، وتحولت إلى أسواق يومية طوال الأسبوع.

٢. تسوقت في بعضها خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكانت في أوج نشاطها آنذاك، لكن مع تزايد التجارات في كل مكان، وتحولها من أسبوعية إلى يومية بدأت هذه الأسواق الشعبية تتراجع، بل بعضها توقفت تماما، وتحولت أراضيها إلى استثمارات عمرانية وتنموية أخرى.

٣. كانت القبائل في الماضي هي المسؤول الأول عن تلك الأسواق الشعبية، واليوم صارت البلديات هي المسؤولة عن كل الأسواق الأسبوعية واليومية. وبعض الأسواق القديمة تحولت إلى أسواق عصرية تعمل طوال النهار، وأجري عليها بعض التطورات العمرانية والتنسيقية.

---

(١) من هذه الأسواق الكبيرة العثيم، والهرم، والراية، وسنتربوينت، وسمينا، والخالدية في بيشة، وابن سلام في النماص، وبندة، وأسواق المواشي في بيشة والنماص، وسوق التمور في بيشة، وأسواق أخرى عديدة كبيرة ومتوسطة، بالإضافة إلى أسواق الذهب، والأسواق الشعبية التي تعمل يوميا. وتاريخ الأسواق الحديثة في محافظتي النماص وتنومة تستحق أن يدرس في بحث أو كتاب علمي موثق.

٤. تلك الأسواق القديمة لها تاريخ يحاكي صفحات من تاريخ الناس في الماضي، ودون عنها الكثير من الاتفاقات والوثائق، ومازال هناك معمرون يعرفون الشيء الكثير عن نشاطاتها وما جرى في بعضها من أحداث سياسية وإدارية وحضارية. وهي ميدان مهم للباحثين. آمل أن نرى بعض الدارسين الجادين فيدرسون تاريخها ويوثقونه.

٥. إن الأسواق التجارية قديماً وحديثاً تخضع لقوانين وأنظمة ولوائح تشرف عليها الدولة أو القبائل أو بعض الأسر. وهي مجال رحب لعمل دراسة مقارنة لأوضاعها في الماضي والحاضر، مع الإشارة إلى حالة العناصر البشرية العاملة في هذه الأسواق الأسبوعية واليومية[١].

تواضع الطرق قديماً من الأسباب الرئيسية في محدودية التجارة، فكانت تمارس على نطاق ضيق في الأسواق الأسبوعية، وكان في بعض القرى من يملك دكاكين صغيرة في بيوتهم وتحتوي على سلع وبضائع ضرورية للاستخدام اليومي، وهم يبيعونها بالنقد أو الأجل على أفراد وأسر قراهم[٢]. وعندما بدأت الطرق المعبدة تصل إلى المدن والقرى، ابتدأ بالطرق الرئيسية مثل: طريق أبها النماص، وطريق النماص العلاية بيشة، وطريق بيشة خميس مشيط[٣]، ثم تزايد العمران، وتعددت الطرق الداخلية في كل محافظة أو حاضرة أو قرى متجاورة.

كانت بلاد السروات من أبها إلى النماص وبلاد بلقرن على صلات جيدة بالأجزاء الشرقية حتى بيشة وقرى وهجر بلاد شهران. وهناك دروب صغيرة بين تلك الجهات

---

(١) منذ أربعين عاماً وأنا أتجول في بلدان السروات وتهامة من الطائف ومكة المكرمة إلى نجران وجازان، واطلعت على مئات الوثائق التي تؤرخ للأسواق الأسبوعية وبعض الأسواق الحديثة، وشاهدت أسواقا شعبية كانت نشطة وحيوية ثم اختفت وتلاشى استخدامها، او تحولت إلى أسواق حديثة بجلباب عصري، وصار لها نظم وآليات تختلف عن حياة الأسواق القديمة، ومن ثم ضاع الشيء الكثير من تاريخ وحضارة هذه البلاد العربية السعودية الجنوبية، والمسؤولية كبيرة على الباحثين والمؤسسات التعليمية العالية فيعملوا على جمع ودراسة وتوثيق ما تبقى من تراث وآثار هذه الأسواق الأسبوعية التاريخية.

(٢) عاصرت وشاهدت بعض هذه الدكاكين في سروات بلاد الحجز وأجزاء من بيشة خلال التسعينيات وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكان كل دكان صغير في مساحته، ومحدود في بضائعه التي أغلبها مواد غذائية وأحيانا أقمشة وبعض الأدوات الزراعية، أو أدوات تستخدم للأكل والشرب أو الطبخ.

(٣) هذه الطرق الرئيسية لها تاريخ قديم، فكانت مستخدمة بالدواب، ثم بدأت السيارات تعبر بعضها منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تحسنت وتطورت حتى صارت طرق واسعة ومسفلتة. وهناك الكثير من الروايات الشفاهية، التي تذكر شيئا من تطورها التاريخي، كما لا تخلو من مدونات ووثائق في وزارة المواصلات وعند بعض الأسر والأعيان وشيوخ القبائل في محافظات بيشة، وخميس مشيط، والنماص وتنومة، وهي موضوعات جديدة لم يسبق بحثها ودراستها آمل أن نرى بعض طالبات وطلاب الدراسات العليا في جامعتي الملك خالد وبيشة فيدرسون تاريخها منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م).

يسلكها المسافرون مع دوابهم. وفي الوقت نفسه سكك صغيرة ووعرة تربط بين السروات ومناطق الأصدار والأجزاء التهامية الممتدة من بارق والمجاردة إلى محايل عسير ورجال ألمع. وهذه الطرق الأخيرة أشد خطورة ووعورة من الطرق الشرقية. وبقي أهل السروات والبوادي والتهايم يعانون عقوداً عديدة في استخدام هذه الطرق، ومنذ ربع قرن تقريباً بذلت الدولة جهوداً كبيرة فربطت هذه الأجزاء الثلاث ( تهامة، والسـروات، والبوادي الشرقية) بطرق سهلة ومسفلتة، ومن يقف عليها اليوم (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) فإنه يشاهد طرق كثيرة تخرج من سروات أبها، وبللحمر، وبللسمر، وبني شهر وبني عمر وبلقرن إلى جميع أجزاء محافظتي بيشة وخميس مشيط، وهناك العديد من الطرق شبه السهلة التي تسـلكها السيارات من أعالي هذه السـروات إلى سهول تهامة وموانئ البحر الأحمر[١]. وكل هذه السكك المسفلتة الحديثة سهلت حياة الناس اجتماعياً، واقتصادياً، وسياحياً، وتعليمياً وثقافياً، وتنموياً [٢].

وإن نظرنـا في المواصـلات والطـرق في محافظـات بيشـة، والنماص، وتنومة وما جاورهـا مـن المراكز والقرى وجدنا أن طرق الأسـفلت وصـلت كل قريـة ومنزل، وربما هناك بعض البوادي والأرياف في محافظة بيشـة ووادي ترج، والبلاد الممتدة من بيشـة إلى خميس مشيط مازالت بحاجة إلى بعض الطرق السهلة والمسفلتة[٣].

والبلاد مليئة بالبضائع والسلع المتنوعة في استخداماتها وحاجة الناس إليه، وجلها مستوردة من داخل البلاد وخارجها، ولن أفصل الحديث عنها، لأنها تحتاج إلى عشرات الصـفحات[٤]. لكن هناك سـلع محلية، وأهل البـلاد يتاجرون فيها داخليـاً وخارجياً، وأذكر أهمها في السطور الآتية:

---

(١) هذه الدروب التي تربط بين السـروات والأجزاء الشـرقية والغربية خلال العصر الحديث والمعاصر بحاجة إلى بحوث نوعية ورصينة توثق بداياتها وتطورها، وآثارها على الأرض والناس.

(٢) من يدرس تاريخ السـروات وتهامة والصـلات بينهما خلال العصور المختلفة يجدها مترابطة جغرافياً، ولا تخلو من الصلات النسبية وبخاصة الأقوام الذين في أعالي السروات وعند سفوحها الغربية. كما أن الحياة قديما كانت شاقة للاتصال فيما بينهما سياسيا، وإداريا، واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. ومنذ أربعين عاما شـقت الطرق بين هاتين الناحيتين، وصـاروا على صلات أقوى وأمتن. كما أن أهل السراة أصبحوا يمتلكون الـدور والعقار في تهامة، ودخلوا في علاقات تجارية واجتماعية وإدارية مع أهل تهامة، وصـار بعضـهم من نسيج المجتمع التهامي.

(٣) إن الطـرق في البلاد التـي زرتها جيدة، لكن مازال في بعض المرتفعات، أو بطـون الأودية، أو بعض الأرياف نواح تحتاج إلى زيادة خدمة في الطرق والخدمات الصحية والتجارية والاجتماعية.

(٤) تاريخ السـلع، أنواعها، مواطن صـنعها أو إنتاجها، تعدد أشـكالها وموديلاتها، وطرق اسـتخدامها موضوع واسع يستحق أن يدرس في هيئة بحث أو كتاب علمي.

## ١. الخضروات والفواكه:

منذ خروجي من أبها إلى أن وصلت بيشة شاهدت الكثير من مزروعات الخضروات مثل: الخس، والجرجير، والسبانخ، والبقدونس، والكزبرة، والنعناع، والحبق، والقضب (البرسيم)، والملوخية وبخاصة في وادي ترج وبيشة. أما الفواكه فهي الأخرى متوفرة وتزرع محلياً، مثل: العنب[١]، والتفاح، والبرتقال، والمشمش، والفركس، والكمثرى، والمانجو والتمور في محافظة بيشة ومراكزها[٢]، والتين، والبخارى، والتين الشوكي (البرشومي)، والبطاطس، والطماطم.

## ٢. الحبوب:

إن بلاد السروات، وأجزاء من بيشة، مواطن رئيسية لزراعة حبوب البر، والذرة، والشعير، والبلسن، والثفاء. ونجد عدداً من المصادر المبكرة تشير إلى حبوب السروات، وكيف كانت تصدر إلى بلاد الحجاز قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المختلفة. ومن يبحث في الوثائق والسجلات الحديثة يجدها مليئة بالتفصيلات عن أنواع الحبوب، ومقاديرها، وجودتها، وطرق خزنها، أو تصديرها إلى أسواق عديدة في شبه الجزيرة العربية[٣].

## ٣. الحيوانات (المواشي):

كانت البلاد في الماضي مكتظة بأصناف الحيوانات الأليفة (الإبل، والأبقار، والأغنام، والماعز، والحمير)، وجميعها تستخدم في خدمة الإنسان فتؤكل لحومها، وينتفع بجلودها، وتستخدم الإبل والحمير لنقل الأمتعة والبضائع من مكان لآخر. وكانت من السلع الرئيسية التي تصدر إلى الأسواق الأسبوعية المحلية، وإلى أسواق الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة مدن الحجاز. وقد عاصرت في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) من يسوق مئات الضأن والماعز إلى مكة المكرمة أثناء موسم الحج لبيعها أضاحيَ للحجاج. كما شاهدت الأسواق الأسبوعية في بيشة والنماص وتنومة وهي مليئة بالضأن والماعز، وبعض الأبقار والجمال التي يحضرها أصحابها من بعض قرى السروات، أو من بوادي السروات

---

(١) يوجد العنب بكثرة في السروات ومحافظة بيشة، ومن كثرته في سروات بلاد الحجر، صار الأحمريون يقيمون مهرجان العنب وبعض الفواكه في بلاد الماوين، ويعرض في هذا المهرجان أصناف عديدة من العنب وفواكه أخرى عديدة تزرع في بلادهم.

(٢) التمور من السلع الرئيسية والقديمة في بيشة، وأصبحت شجرة المانجو تزرع مؤخراً، ونجحت زراعتها في نواحي عديدة من المحافظة.

(٣) في مكتبتي مئات الوثائق الحديثة التي تشير إلى كثرة الحبوب في سروات الحجر وعسير وما جاورها، ومقادير الزكاة التي كانت تجبيها الدولة السعودية الحديثة. وهذا الموضوع جديد يستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية.

الشرقية. ومازالت هذه السلع ترد إلى أسواق المواشي في محافظات عسير المختلفة، لكنها ليست بالكثرة التي كانت في القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). ورأيت في محافظتي بيشة وخميس مشيط من يمتلك زرائب للأغنام أو الإبل، وفي بعضها أعداد كبيرة تقدر بالآلاف، ومعظمها في خانة المئات[١].

## ٤. العسل وتربية النحل:

إن العسل وتربية النحل مهنة قديمة مارسها السرويون. وفي كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري من أهل القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) تفصيلات كثيرة عن جودة عسل السروات، وبعض كتب التراث الإسلامي المبكرة أشارت إلى أنواع العسل كانت تجلب من أرض السراة وتباع في أسواق عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها [٢].

وشاهدت كثيراً من النحالين في محافظتي تنومة والنماص وفي مراكز وادي ترج (القوباء، والبهيم، ومهر، والحازمي) يقومون على خلايا كثيرة للنحل، وتحدثت مع بعضهم فقالوا: "إن العسل الذي نحصل عليه هو: عسل الشوكة (الطلح) وعسل السدر. وهما أفضل أنواع العسل، وفي أوقات أخرى نجني عسل المجرة، وأنواع أخرى أقل في جودتها من السدر والشوكة..." . وهناك بعض العمال اليمنين والهنود الذين يحرسون خلايا النحل في بعض الجبال والأودية. وسلعة العسل تجارة رابحة لمن يعمل فيها، فالكيلو الصافي من الأنواع الجيدة يصل إلى ستمائة وسبعمائة ريال، وهناك أنواع أقل جودة من (٢٥٠-٣٠٠) ريالا.

والأسعار موضوع كبير يحتاج إلى عشرات الصفحات، لكن الوقت الذي خرجت فيه من أبها إلى النماص وبيشة ثم العودة إلى أبها أيام عيد، وكثير من الأسواق مغلقة، لكنني استطعت أن أجمع مادة من مقابلة بعض الأفراد والجماعات. فالأغنام كانت غالية، والذبيحة التي تضحى ومتوسطة العمر من (٩٠٠- ١٥٠٠) ريال. والوجبة لفرد واحد في المطعم تكلف من عشرة ريالات إلى مئة ريال حسب نوع الطعام، والشراب، كالماء، والمشروبات الغازية، أو براد الشاي، أو القهوة تكون أسعارها من الريالين لعلبة الماء الصغيرة إلى الثلاثين وربما الخمسين ريالا لدلة القهوة، أو براد الشاي الكبير وبخاصة في مراكز شرب القهوة والشاي الحديثة (Coffee Shop) [٣].

---

(١) هذا ما شاهدته في عدد من مراكز محافظة بيشة وفي خيبر الجنوب، وتندحة، ووادي ابن هشبل بمحافظة خميس مشيط.

(٢) تاريخ العسل في السروات وتهامة موضوع جديد، ومعروف في هذه البلاد من قبل الإسلام حتى يومنا الحاضر. وهو موضوع بكر في بابه يستحق أن يدرس في عدد من الكتب العلمية.

(٣) انتشرت هذه المحلات التجارية مؤخراً في المدن والحواضر وعلى جوانب الطرق الرئيسية، وأسعارها عالية جداً مقارنة بالبوفيهات العادية التي يكلف فيها كأس الشاي أو القهوة من (٣-٥) ريالات.

والمتأمل في أسعار وأجور كل شيء يجدها عالية، بعد أن رفعت الدولة الضريبية إلى (١٥٪). وقد جلست في بعض المجالس الاجتماعية في اثنين بللسمر، وتنومة، والنماص، والقوباء، والبهيم، ومهر، والحازمي، والثنية، وأمكنة أخرى في مدينة بيشة، وفي خيبر الجنوب، ووادي ابن هشبل فوجدت معظم حديث الناس على غلاء الأسعار والأجور، ويأملون أن تتحسن الأحوال الاقتصادية في البلاد، وتنخفض الأسعار. ومعظم الذين تحدثت معهم وجالستهم موظفون وأحوالهم المادية حسنة، فعندهم رواتب شهرية، وبعضهم يعملون في بعض الحرف والمهن التجارية، لكن الذين ليس لديهم دخل، قد يعانون من ضيق الحياة الاقتصادية، وآمل أن يكون هناك مؤسسات وجمعيات أهلية وخيرية يتفقدون أحوال المحتاجين والمعوزين ومن لا يستطيع مجاراة ارتفاع الأسعار والعيش بستر وأمان[١].

والعملة السعودية هي السائدة في عموم البلاد، ومنها المعدن المكون من ربع الريال، ونصف الريال، والريال، والريالين. والعملات الورقية الريال، والخمسة، والعشرة ريالات، والخمسين، والمئة، والخمسمائة ريال[٢]. وأدوات الوزن الجرام، والكيلوجرام لمعظم السلع الصغيرة والمتفرقة. والطن للأشياء الثقيلة والكبيرة مثل الحديد، والأخشاب الكثيرة، وأحياناً المياه إذا كانت معبأة في صهاريج، وربما استخدم المتر المكعب للماء، أو الخرسانة المسلحة.

ويستخدم المد، والصاع، والوزنة للحبوب، والدقيق. وللأطوال والمسافات يستخدم السنتيمتر، والمتر، والكيلومتر، والميل. وربما استخدم الشبر، والباع، والذراع، والخطوِ[٣].

## خامساً: الحياة التعليمية، والثقافية، والفكرية:

الحياة التعليمية والثقافية المعاصرة لا تقارن مع الماضي. فكان هناك متعلمون قلائل، وتعليمهم محصور على بعض العلوم الشرعية كقراءة القرآن، وبعض الكتب التاريخية والأدبية الأخرى. ومنذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ التعليم النظامي

(١) هناك جمعيات مثل: الجمعية التعاونية، وجمعيات البر، وجمعية الأيتام وهي تؤدي أعمالاً تكافلية جيدة، لكن مع زيادة الأسعار وارتفاع معاناة الناس، يجب على الأغنياء والمقتدرين أن يساهموا في رعاية الفقراء والمحتاجين.

(٢) تاريخ العملة السعودية تستحق الدراسة منذ قيام المملكة العربية السعودية في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر.

(٣) كل هذه التعاملات التجارية ( العملة، والمكاييل والموازين، والأطوال) معروفة عند عدد من الحضارات القديمة والحديثة. والمسلمون استخدموها في كل أعمالهم الاقتصادية والاجتماعية، وجرى لها تغيرات وتبدلات عبر أطوار التاريخ الإسلامي. وهي موضوع جيد لو درس في جنوب المملكة العربية السعودية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م).

في سـروات الحجر، وبيشـة، وخميس مشـيط، وأبها. ومن الثمانينيات في القرن نفسـه فتحت مدارس البنات، وصار التعليم العام للجنسين جنباً إلى جنب، فزاد عدد المتعلمين والمتعلمات حتى أصبح جميع المدرسات والمدرسون سعوديون[١].

تسـارعت الحيـاة التعليميـة والثقافية في عمـوم محافظات منطقة عسـير، ونالت سـروات الحجر، ومحافظة بيشة، ومحافظة خميس مشيط قسطاً من التعليم الحديث، وأثناء رحلتي الأخيرة في بلاد بللحمر، وبللسـمر، وبني شـهر، وبني عمرو ومراكز وادي تـرج ( القوباء، والبهيـم، ومهر، والحازمي) ومدينة بيشـة، ومركـزي خيبر الجنوب، ووادي ابـن هشـبل خرجت بالعديد من التصـورات والملحوظات على الحيـاة الثقافية، والتعليمية، والفكرية، أسردها في النقاط الآتية:

١. لا يخلـو بيت من متعلمين ومتعلمات، بل إن بعض كبيرات وكبار السـن التحقوا بمدارسـ محو الأمية، وصـاروا قادرين علـى القراءة والكتابـة. وهناك مئات المدارسـ للتعليم العام بنات وبنين، والكثير من رياضـ الأطفال. ومنذ العقود الأولى في هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) أنشـئت بعض مؤسسـات التعليم العالي للبنـات والأولاد، واليوم أصـبح في تنومة كلية العلـوم والآداب للبنات والبنين، وتتبع جامعة الملك خالد. وفي بيشـة جامعة مسـتقلة تشـرف علـى العديد من الكليات العلمية والأدبية في مدينة بيشة، وبلقرن، والنماص[٢].

٢. إن وسائل الإعلام المرئي والمكتوب، ثم وسائل التواصل الاجتماعي مؤخراً أثرت كثيراً في رفع المسـتوى الثقافي، والفكري والتعليمي عند جميع شرائح المجتمع، وإن كان الكثير مما يعرض في هذه الوسـائل تشـوبه نسب عالية من السلبيات،

---

(١) مازال تاريخ التعليم الحديث في عموم مناطق جنوب المملكة العربية السـعودية بحاجة إلى دراسـات علمية دقيقة. ولا تخلو البلاد من بعض الدراسات المحدودة، انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤- ١٩٦٦م)، (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (الجزء الأول) (٣٤٨ صـفحة). للمؤلف نفسـه. تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسـير خلال عهد خادم الحرمين الشـريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (١٤٠٢- ١٤٢٢هـ/ ١٩٨٢ -٢٠٠٢م) (مطبوعات جامعة الملك خالد، ١٤٢٣هـ) (٢٩٨صـفحة)، وأعيدت طباعته مرة ثانية (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) (٤٥١صـفحة). للمؤلف نفسه. من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السـعودية: محمد أحمد أنور (دراسـات، وشـهادات، ووثائق) (الرياض: مابع الحميض، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) (٦٠٦صفحة). ثم أعيدت طباعته عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) في المطابع نفسها (٥٨٧صفحة). ولا تخلو (موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب) من بحوث متفرقة في التعليم والثقافة في جنوب المملكة العربية السعودية (عشرون مجلداً).

(٢) عاصـرت التعليم العـام ثم العالي في جنوب المملكة العربية السـعودية في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وشـاهدت وكتبـت صـفحات عديدة عن هذا الميدان. والحقيقة أنه قفز قفزات سـريعة، وأصـبح في البلاد الكثير من المؤسسـات التعليميـة والثقافيـة والتنويريـة. وهذا المجال يسـتحق أن يدرس في عدد من الرسـائل والكتب العلميـة التوثيقية. وعلى الجامعـات المحلية من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران مسـؤولية كبيرة فتنشئ مراكز بحوث متخصصة تعمل على توثيق تراث وتاريخ وحضارة هذه البلاد خلال العصر الحديث والمعاصر.

أو المعارف السطحية، لكنه أثر ومازال يؤثر بشكل كبير على جميع مفاصل حياة الفرد والمجتمع [١].

٣. التعليم والثقافة في البلاد التي شاهدتها ليست مقصورة على المتعلمات والمتعلمين، والمثقفات والمثقفين المحليين فهم كثير، ويعملون في قطاع التعليم، وجميع قطاعات المنطقة الرسمية والأهلية. لكن من أهل البلاد متعلمات ومتعلمون كثر يعيشون خارج بلادهم الرئيسية، ومنهم أساتذة ومخترعون ومؤلفون وخبراء وعلماء كبار في مجالات علمية عديدة بالجامعات السعودية، وفي بعض الوزارات والإدارات الحكومية داخل البلاد وخارجها[٢].

٤. البلاد مليئة بشرائح المجتمع المتعلمة التي تقوم على خدمة المساجد فتؤم الناس في جمعهم وجماعاتهم، وصلوات العيدين، والاستسقاء وغيرها. وهناك الدعاة والمحتسبون الذين يخدمون في الجمعيات الخيرية والتطوعية، ولا تخلو الأندية الرياضية والاجتماعية من أفراد وجماعات يحملون هم تعليم الناس وتثقيفهم في كل عمل صالح ومفيد، وفي المحاكم الشرعية وكتابات العدل رجال يمارسون أعمالهم الرسمية، ولهم جهود أخرى تطوعية في قيادة الناس والمجتمع إلى كل خير.

٥. لم أذكر المعلومات الإحصائية لأعداد المدارس، والكليات، والدارسات والدارسين، والمدرسين والمدرسات وأعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم العالي. ولم أشر إلى مقرات التعليم العام والعالي، أو الإدارات العامة في كل البلاد الي زرتها، وهي موضوعات مهمة وجديرة بالبحث والدراسة، وإنما اقتصرت على بعض العموميات التي سمعتها أو شاهدتها، وآمل أن تكون هذه المعلومات وما سردت عنها من مشاهدات وانطباعات لبنة تساعد الباحثات والباحثين المنصفين الجادين على إصدار بحوث وأعمال علمية جيدة ورصينة.

٦. في الوقت الذي ارتحلت فيه في نهاية عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) يمر العالم بجائحة مرض كورونا الذي فتك بالكثير من شعوب العالم. ولم تسلم المملكة العربية السعودية من هذا الوباء، وامتدت آثاره إلى كل مدينة وقرية وهجرة. وشاهدت

---

(١) تاريخ الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، وآثارها السلبية والإيجابية على المجتمعات، موضوعات مهمة للدراسة والتوثيق، والخروج بنتائج وتوصيات تصب في الرفع من مستوى التعليم والمعرفة الإيجابية، وذكر المخاطر التي تصدر من هذه الوسائل على حياة الناس الصحية والثقافية والفكرية.

(٢) ما عرفته وشاهدته في البلاد التي ارتحلت فيها مؤخراً يعد نموذجاً مصغراً لبقية مناطق، ومحافظات، وحواضر، ومراكز جنوب المملكةالعربية السعودية. فالبلاد تغص بالمتعلمات والمتعلمين والمثقفات والمثقفين وفي شتى العلوم والمجالات.

الناس في محافظات ومراكز سروات الحجر وبيشة تأثروا ثقافياً وتعليمياً بهذا المرض، فالمدارس والكليات الجامعية مقفولة منذ شهر رجب. ومازالت حتى هذه الأيام (١٠-١٣/١٢/ ١٤٤١هـ) وكذلك جميع طبقات المجتمع في مجالسهم الاجتماعية والثقافية مازالوا خائفين من بعضهم البعض، فهم متباعدون اجتماعياً، ومتعطلون عن مواصلة أعمالهم في مدارسهم، وأنديتهم، ومجالسهم الخاصة والعامة[١].

٧. كل الناس يحملون فكراً اسلامياً وسطياً، وإن كان هناك بعض الأفراد القلائل المعجبون والمؤيدون للانفتاح الاجتماعي والفكري الذي يحمل في طياته الكثير من الآراء المخالفة لمبادئ المنهج الإسلامي المعتدل. وهناك بعض الأشخاص المختلفين مع أقوامهم، أو زملائهم، أو أصدقائهم أو مجتمعاتهم في بعض الأفكار والقضايا المعاصرة. وهذه الظاهرة ليست وليدة اليوم، وإنما الاختلاف في الرؤى والأفكار والاتجاهات المعرفية، والثقافية، والسياسية والعقدية منذ خلق الله السماوات والأرض، وسوف تستمر حتى تقوم الساعة. ومن يقرأ في كتب التراث الإسلامي يجدها مليئة بكتابات كثيرة لها صلة بالاختلافات الفكرية والثقافية والمعرفية المتعددة [٢].

٨. في البلاد عدد من الأعلام الذين خدموا الثقافة والتعليم والمعرفة بشكل عام منذ بداية القرن(١٤هـ/ ٢٠م)، ومازال لهم ذكر في الوثائق والمرويات الشفاهية، ناهيك عن المعاصرين فهم أيضاً خدموا بلادهم من خلال أعمالهم وتخصصاتهم أو معارفهم. وهذه الورقات لا تسع الترجمة لهم وذكر جهودهم التعليمية والمعرفية، وإنما أشرت إليهم، وأحث المؤرخين والباحثين الجادين على كتابة سيرهم وآثارهم العلمية والتعليمية[٣].

---

(١) الآثار السلبية لمرض كورونا عامة على جميع بلاد العالم، حبذا أن نرى باحثاً أو طالب دراسات عليا في إحدى الجامعات الجنوبية السعودية المحلية فيعكف على دراسة علمية توثيقية يوضح فيها أوضاع أهل السروات وتهامة ومدى تأثرهم السلبي بهذه الجائحة.

(٢) أعمل في الجامعات منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وأسمع وأجلس في مجالس مختلفة داخل البلاد وخارجها وأشاهد ظاهرة الاختلافات في الأفكار، والعقائد، والسياسات، والمعارف، والتوجهات. وهذا أمر طبيعي في حياة الأفراد والمجتمعات في كل مكان.

(٣) تجولت في مناكب السروات وتهامة، واطلعت على الكثير من وثائقها، وسمعت الكثير من أخبارها. وهي موطن عدد كبير من الأعلام الذين ساهموا في بناء التاريخ والحضارة في أوطانهم الرئيسية وفي داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها. وإسهاماتهم ليست فقط في العصر الحديث والمعاصر وإنما تعود إلى عصور الإسلام المختلفة منذ فجر الإسلام إلى وقتنا الحاضر.

## سادساً: وقفة مع السياحة:

### ١. تنوع البيئات السياحية:

يغلب على الطبيعة تنوع تضاريسها من جبال مرتفعة، إلى متوسطة الارتفاع، إلى هضاب، فأودية، وسهول. ومعظم السروات الممتدة من بللسمر إلى بني عمرو ذات غطاء نباتي كثيف، ومراكز وادي ترج وحاضرة بيشة مليئة بالمزارع وبخاصة أشجار النخيل، وبعض الأشجار المثمرة الأخرى. وهذه البيئات الجغرافية ساعدت على وجود أماكن سياحية يرتادها السياح من أهل المنطقة، أو من الزوار الذين يقدمون إليها من داخل المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج[١].

شاهدت بلديات بللحمر، وبللسمر، ومحافظتي تنومة والنماص تبذل جهوداً طيبة في عمل بعض الحدائق والمتنزهات السياحية المزروعة بالنباتات والأشجار، وهذا مما شجع أهل البلاد على بناء منتجعات سياحية وفلل سكنية قريبة من المتنزهات. وإن نظرت في مراكز وادي ترج فهي ذات طبيعة جميلة، ومازالت متأخرة في المرافق السياحية الضرورية. ومدينة بيشة لا تخلو من حدائق ومتنزهات محدودة، أما المراكز البعيدة عن المدينة مثل: صمخ، وتبالة، والحازمي، ومهر فهي متأخرة سياحياً، وبحاجة إلى خدمات تنموية جديدة، ووادي ابن هشبل أفضل نوعاً ما من خيبر الجنوب، إلا أن المركزين مازالا بحاجة إلى تطوير وتنمية أفضل[٢].

### ٢. وضع السياحة عام (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م):

إن جائحة كورونا أثرت على جميع مفاصل الحياة، والسياحة في بلاد السروات وبخاصة في منطقتي الباحة وعسير تأثرت نوعاً ما، لكنها ليست بالقدر الذي جرى في مناطق أخرى. ففي أيام الحجر التي فرضتها الدولة لم يستطع أحد أن يأتي إلى هذه البلاد، لا من أهل البلاد أنفسهم الذين يعيشون في مناطق المملكة العربية السعودية الأخرى، ولا من الناس الذين يبحثون عن الترفيه والنزهة. وعندما سُمح بالسفر داخل البلاد في نهاية شهر شوال (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) جاء إلى بلاد عسير وبخاصة سرواتها من أبها إلى محافظتي النماص وبلاد بلقرن أعداد كبيرة من السياح، وقضوا بعض الأيام في هذه النواحي، ومنهم من استمرت إقامته أسابيع. لكن الجميع عاشوا في خوف

---

(١) إن طبيعة هذه البلاد في الماضي أفضل بكثير مما هي عليه اليوم، بل كانت مليئة بالكائنات الحية المختلفة من حيوانات، وطيور، وزواحف. واليوم ازدادت الطرق المسفلتة، واتسع عمران المدن والقرى، وهذا مما أثر على الغطاء النباتي لهذه الأوطان.

(٢) تاريخ السياحة في منطقة عسير يستحق أن يوثق منذ القدم وما جرى عليه من تحولات خلال العقود الستة الماضية.

وحـذر، ولم يكن هناك مناشـط ثقافيـة، وترفيهية، واجتماعية، واقتصـادية [١]. وإنما اقتصروا على الجلوس في الحدائق والمتنزهات، وممارسة الأطفال وبعض الأفراد ألعاباً ترفيهية ورياضية محدودة [٢].

## ٣. المطلوب من الفرد والمجتمع والدولة تجاه السياحة :

مازالت السياحة في بلادنا محصورة في الإقامة أو التجوال في المنتجعات والأراضي الجميلة والخضـراء، أو إقامة أسواق أو مهرجانات موسومية، أو عقد بعض اللقاءات أو النشـاطات الثقافية والاجتماعية. كما تنشط بعض الأعمال الطربية ـ الفنية والغنائية. وهـذا النشـاط الأخـير له جماهـير من مختلـف شـرائح المجتمع وبخاصـة الشـباب والشـابات وبعض النساء متوسطات الأعمار. وكل هذه الجهود جزء من عالم السياحة، لكنها بجهود فردية، وأحياناً مؤسسـاتية غير ملمة بثقافة السـياحية التي تخدم الأرض والإنسـان، وتكـون نتائجها مثمـرة في بناء العقل العربي المسـلم المعتـدل في كل أفعاله وأقواله وسـلوكياته. وأذكر في السـطور التالية بعض الأطر العامة التي يجب الانتباه لها من المخططين والمنفذين لسياحة مدروسة ومفيدة للصالح العام قبل الخاص:

١. بلادنـا، وأقصـد عموم السـروات وتهامة، ذات تـراث وتاريخ وحضـارة يعود إلى الوراء آلاف السـنين. وهذا الموروث يتمثل في إنسـان هذه الأوطان، ولغته، وأعرافـه، وأهازيجـه، وفنونه الثقافيـة، والاجتماعية، والطربيـة. ناهيك عن تاريخـه العمـراني المتنوع، والزراعـي، والحرفي، والتجـاري كل هذه المؤهلات مخـزون جميل وجيـد لو وظف في خدمة السـياحة. وتفعيل هـذه الأمور لا تتم فقـط باجتزاء فن هنا، وفكرة أو لـون معرفي من هناك، ثم إدراجها في مكان، أو زمان، أو مناسبة، والادعاء أن هذه السياحة في عسير، أو الباحة، أو جازان، أو نجـران، أو أي ناحيـة كبيرة أو صـغيرة في هذه البلاد. وإنمـا الواجب على الإمارات، والمؤسسـات القائمة على السياحة أن تُشـرك المؤسسات الأكاديمية والتعليمية والبحثية في هذا الشـأن، كما يجب عليها أن تتصـل أو تزور مراكز البحوث المتخصصة في العالم، ولها خبرة وتجارب إيجابية ومفيدة في السياحة.

---

(١) في كل صـيف من السـنوات السـابقة تعد كل محافظة أو مركز إداري الكثير من المناشط الثقافية. وتتحول البلاد إلى أسواق تجارية نشطة، وتقام المهرجانات الاجتماعية والثقافية التي يقدم فيها بعض المسرحيات، والمحاضرات والندوات، والمسابقات العلمية وغيرها. وبسبب الخوف من مرض كورونا لم يتم شيء من ذلك في عموم منطقة عسـير، وإن حاولت إمارة عسـير وبعض المحافظات عمل بعض اللقاءات لكنها كانت قليلة ومحدودة في العدد والإمكانيات.

(٢) ذهبـت مـن أبهـا إلى محافظتي تنومة والنماص، ثم عـبرت وادي ترج حتى مدينة بيشـة وتجولت في بعض المراكز الأخرى في السـراة وبيشـة، ولم أشاهد أي نشاط إجتماعي، أو ثقافي، أو رياضي، وإنما عامة الناس في منازلهم، واجتماعاتهم محدودة وعلى نطاق ضيق جداً.

وإن تم ذلك فقد نصل إلى رؤى ونتائج مبهرة تخدمنا أثناء الإعداد والتنفيذ للسياحة في بلادنا.

٢. يجب أن تدعم الجامعات وتشجع على إنشاء كليات، أو أقسام، أو مراكز بحوث للسياحة. وعلى هذه المؤسسات الأكاديمية أن تبذل قصارى جهودها على الاستفادة مما عند الدول أو الجامعات العريقة التي سبقتها في عالم السياحة، وتستفيد من خبراتهم وتجاربهم، مع الحرص على موروث الأرض والناس في أوطاننا فيكون له بصمته وأثره وتأثيره في سياحتنا المحلية. ويجب العلم أن عندنا من المخزون الحضاري ما يؤهلنا لسياحة عالمية يمكن تصديره إلى أجزاء كثيرة من الكرة الأرضية.

٣. على مؤسساتنا الإدارية القيادية، وجامعاتنا، وإعلامنا، ومراكزنا الثقافية أن تؤهل الفرد والمجتمع تأهيلاً معرفياً وثقافياً وتنويراً على السياحة الراقية والنظيفة في الأفكار، والسلوكيات، والثقافات العربية الأصيلة، ولا يمنع الاستفادة من ثقافات ومعارف الغير مع تطويع ذلك تحت مظلة موروثنا الحضاري الأصيل. كما يجب بناء الشخصية المحلية على العمل والتفاني لخدمة الصالح العام، والبعد عن ثقافة الأنانية وحب الذات، وتدريب الفرد والمجتمع على الحوار والاطلاع على ثقافة الآخرين والاستفادة منها في الاتجاه الإيجابي [1].

## سابعاً: الخاتمة: آراء وتوصيات:

هذه رحلة قصيرة استغرقت حوالي أربعة أيام، وجل المادة العلمية المدونة قامت على المشاهدة والخبرة لمعرفة الباحث بهذه البلاد، فهو ابنها تجول في بعض أجزائها مرات عديدة. ولا أدعي الكمال والإلمام بكل التفصيلات الخاصة بالمحاور المطروحة في هذا المبحث، لكنني أعتقد أنه يحتوي على معلومات تاريخية وحضارية مهمة تستحق البحث والدراسة بشكل أطول وأعمق. ومن الآراء ثم التوصيات التي خرجت بها ما يأتي:

١. معظم سكان البلاد قبائل، وهي مهمة في تنمية وتطوير أوطانها، لكنه مازال يغلب عليها التعصب القبلي، والعصبية القبلية المقننة محمودة إلى حد ما، لكن إذا بالغت في تعصبها وعنصريتها، فإن نتائجها غير مجدية ولا مقبولة لبناء وتطوير روح الفرد والجماعة.

(١) للأسف أن العربي مازال متأخراً في ثقافة الحوار والاتفاق والاختلاف مع الآخر. والتربية الأسرية، والمدرسة، والجامعة، ووسائل الإعلام عليها مسؤولية كبيرة في تعزيز هذا الجانب في حياتنا العامة والخاصة، الفردية والمجتمعية.

٢. تعيش جميع أنحاء البلاد في أمن وأمان واستقرار بعد أن كانت في قرون ماضية تحيا حياة الشتات والصراعات الدامية، ثم الضيق والمحدودية في رقعتها الجغرافية، وفي ثقافة وحضارة سكانها. على مستوى الأفراد والجماعات.

٣. حياة الناس الإدارية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والتعليم مواكبة لحياة العصر الحديث من حيث التنمية والتطور تحت حكم دولة عصرية، بدلاً من حكم القبيلة الصغيرة التي كانت تحكم بلادها بشيء من الاستبداد والاستقلالية [١].

٤. لا تخلو البلاد والمجتمع من بعض النواقص أو المنغصات. فالبلاد الممتدة من أبها إلى النماص مازالت بحاجة إلى كليات جامعية نوعية، وبعض المحاضن الثقافية مثل: النوادي الأدبية، وجمعيات للفنون والثقافة. وعموم وادي ترج من أعالي السروات إلى مدينة بيشة ينقصه بعض الخدمات كالطرق، وخدمات صحية، وحبذا مستشفى في أحد مراكز القوباء، أو البهيم، أو مهر. والزراعة في عموم محافظة بيشة تحتاج إلى دعم ورعاية وبخاصة مزارع النخيل التي أصاب الكثير منها الخراب والتلف. وعلى بلديات المحافظات والمراكز من أبها إلى النماص وبيشة وخيبر الجنوب ووادي ابن هشبل أن تضاعف جهودها في الحفاظ على نظافة الطرقات، والأحياء وأماكن الترفيه والتنزه[٢].

**(*) البلاد أرض بكر في تاريخها وتراثها وموروثها الحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، وأذكر بعض الموضوعات والعناوين الجديدة في بابها، التي تستحق أن تدرس وتوثق في بحوث علمية منصفة ونزيهة وهي على النحو الآتي :**

١. تاريخ القبائل وأصولها النسبية والحضارية قبل الإسلام وبعده، ولا يمنع أن تدرس أحوالها السياسية والإدارية في العصر الجاهلي وخلال عصور الإسلام المختلفة.

---

(١) هكذا كان وضع شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحاضر. فالقبيلة كانت الأمر الناهي في بلادها، وربما تحالفت أكثر من قبيلة ضد قبائل أخرى، لكن الحروب والصراعات كانت ديدنهم وشغلهم الشاغل.

(٢) شاهدت الكثير من المنتجعات السياحية في هذه الأوطان مليئة بالقمامة، والبلديات لا تبذل جهوداً جيدة في جمعها وإحراقها. كما أن الأسر والأفراد متهاونون، فلا يحرصون على تنظيف أماكن جلوسهم وتنزههم عندما ينتهون من ترفيههم ونزهتهم، وهناك من يتعمد رمي الزبالة في الطرقات والأماكن العامة.

٢. تاريخ البلاد الاجتماعي، والاقتصادي، والمعرفي منذ عصر ما قبل الإسلام حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). موضوع كبير يدرس في عشرات الكتب والبحوث.

٣. دراسة النقوش، والآثار، والرسوم الصخرية، والموروث اللغوي، كل هذه العناوين جديرة بالبحث والتأصيل.

٤. عاش في البلاد أعلام على مر التاريخ، لهم جهود وإسهامات متعددة، ويستحقون أن تدون تراجمهم وتوثق.

٥. يوجد عند الناس في هذه البلاد الكثير من الوثائق والصكوك، والمدونات الشرعية، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والتعليمية والواجب جمعها ودراستها وتحليلها ثم طباعتها ونشرها.

٦. البلاد مليئة بالقصص، والحكم، والأقوال والأهازيج، والأشعار، والمفردات والاصطلاحات اللغوية. وهي تعكس صفحات من تاريخ أهلها عبر أطوار التاريخ، وتستحق الجمع والحفظ والدراسة.

٧. تمر البلاد بنمو حضاري حديث ومعاصر منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذه الحضارة الحديثة والمعاصرة جديرة بالتدوين والتوثيق.

٨. لأهل البلاد صلات سياسية وإدارية وحضارية مع من حولهم في تهامة والسراة، أو مع اليمن، والحجاز، ونجد. وهذا الموضوع جديد في بابه يستحق أن يدرس في كتب وبحوث عديدة.